

(خطاب الإنس والجن في القرآن: دراسة أسلوبية تطبيقية)

إعداد :
أسماء حسن علي الرقيبات

إشراف:
إيمان "محمد أمين" الكيلاني
أستاذ مشارك

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في تخصص اللغة العربية/اللغويات
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا في الجامعة الهاشمية

الزرقاء – الأردن

٢٠١٣/٤/٢٥

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ : ٢٠١٣/٤/٢٥

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتورة إيمان "محمد أمين" الكيلاني/مشرفاً (أستاذ مشارك، علم اللغة، اللسانيات)	....
الدكتور منير تيسير الشطناوي/ عضواً (أستاذ مشارك، علم اللغة، اللغة والنحو)	....
الدكتور محمد خليل الخلايلة/عضواً (أستاذ مشارك، الأدب القديم ونقده)	....
الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية/عضواً (أستاذ دكتور ، علم اللغة،الصوتيات) (جامعة اليرموك)	....

الإهداء:

إلى اليد الطاهرة التي أزالت من أمامي أشواك الطريق ورسمت لي المستقبل بخطوط من اليقين...إلى الذي لا تفيه الكلمات شكرًا وعرفانًا...(أبي الحبيب)

إلى الغالية التي لا أرى الحياة إلا بعينيها...إلى من منحتني أيام عمرها حبًا وتصميمًا ودفعًا لغدٍ أفضل...(أمي الحبيبة)

إلى غاليتي التي صلّت ودعت ورجت من الله التيسير لي...(جدّتي الغالية)

إلى رفيق عمري وهو كل عمري...إلى نبض قلبي وهو قلبي (زوجي مؤيد)

إلى مَن أشرقت شمس حياتي...واستضاءت بها أمنياتي (ابنتي هدى)

إلى من أخذوا بيدي ومهدوا دربي...إلى من رسموا الأمل في حياتي..(إخوتي)

إلى كل منساندني وأخلص لي في دعائه أهدي أولى ثمرات علمي...

شكر وتقدير

أتقدّم بالشكر الجزيل إلى الأنامل التي عطرت دراستي...وأفاضت من علمها على حياتي....(أستاذتي إيمان الكيلاني)

وأقدّم الشكر والامتنان لجامعتي الغالية التي أهدتني الكثير من خيراتها، إليكِ جامعتي الجامعة الهاشمية عظيم تقديري

وأخصّ بالتقدير والاحترام والشكر أعضاء لجنة المناقشة، أساتذتي الأكارم الّذين تربيت على أيديهم منذ سنين مضت، فكنت ابنة لهم وناهلة من معين علمهم ومعرفتهم، وعظيم امتناني لهم لقراءتهم لهذه الدراسة، وإهدائهم لي المآخذ والملاحظات عليها، لإصلاح ماينبغي عليّ إصلاحه.

وأشكر كل مَن كان لي عونا لإكمال هذه الدراسة.

الباحثة

أسماء الرقيبات

فهرس الموضوعات

قائمة الجداول

قائمة الملاحق

ملخص

(خطاب الإنس والجنّ في القرآن: دراسة أسلوبية تطبيقية)

إعداد:

أسماء حسن علي الرقيبات

إشراف:

إيمان "محمد أمين" الكيلاني

(أستاذ مشارك)

تُعدّ هذه الدراسة قريةً في حقل من حقول الدراسات الأسلوبية التطبيقية، فتتخذ من الأسلوبية الأدبية مسبارا ترصد فيه العدول الأسلوبي في يات الإنس والجنّ، لما بينهما من صفات مشتركة، ولأنهما عالمان موجودان وبينهما تواصل كما جاء في الخطاب القرآني، وكانت آيات الإنس والجنّ تحمل وحدة دلالية مشتركة تؤول إلى جمع صفات مشتركة بين العالمين.

وتعتمد الدراسة على البحث في شبكة العلاقات الرأسية والأفقية في الآيات لبيان ما تحمله من دلالات ذات قيمة تعبيريّة مميزة. قسّمت الدراسة إلى ثلاثة فصول، الفصل الاول جمعٌ لآيات الإنس والجنّ، والفصل الثاني فيه آيات الجنّ دون الإنس، أمّا الفصل الثالث ففيه الآيات التي تفرّد الإنسان بها، وكلمة "الناس" بين الإنس والجنّ.

وتقوم هذه الدراسة على البحث في دلالة استخدام اللفظة دون غيرها في سياق معين، واستعمال صيغة صرفية وتكرارها في مواضع معيّنة تقتضيها المناسبة، ودلالة أصوات الكلمة على المعنى، وما يترتب على التركيب النحوي مناإشارة إلى المعنى، وإبراز قيمة خاصة من الاستخدام لا يتم المعنى إلا بمعرفتها، وهذا يتطلب الغوص في أعماق النص ومعايشة الألفاظ والانطلاق بها إلى المعنى الأكثر دلالة، فالأسلوبية مثلما يُعرفها "ياكبسون"[1] بأنها البحث عمّا يتميّز به الكلام الفنّي عن بقية مستويات الخطاب أولا، وعن سائر أصناف الفنون ثانيا.[2]

وفي هذه الدراسة تجد تطبيقا للأسلوبية الإحصائية، ويُعنى هذا الإتجاه بالكم وإحصاء الظواهر اللغوية في النص، ويبني أحكامه بناءً على نتائج هذا الإحصاء، فتجد فيها أحكاما أكثر علمية وأكثر دقة ولا ذاتية فيها، ولا تكون إلا بعد إبراز السمات الفنّية في النص وبيان مميزاته، وأُحصيت ألفاظ الإنس بالنسبة لألفاظ الجنّ، وكلمة "الناس" التي تعني الإنس والجنّ بالنسبة للكلمات التي تنفرد بالإنس.

[1] : عالم لغويّ روسي ومن أهم مؤسسي حلقة موسكو اللسانية ١٨٩٦-١٩٨٢م
[2] : انظر: المسدّي، عبد السلام: الأسلوب والأسلوبية، ط١، ١٣٩٧، الدار العربية للكتاب-تونس، ص٢٤٢

المقدّمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على مَن حمل الكتاب وبلّغه دون أدنى تحريف أو تزييف، وعلى آله وصحبه والمسلمين أجمعين، أمّا بعد:

فبعد إنهاء المواد والمتطلبات النظريّة في تخصص اللغويّات ودراسة مناهج اللغة والبحث فيها، ارتأيتُ اختيار الأسلوبيّة منهجًا تطبيقيًا لهذه الدراسة، واعتمدت في هذه الدراسة جُلَّ اعتمادي على القرآن الكريم، و"إنّ كتابنا القرآن لهو مفجّر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، وأبان فيه كل هَدي وغيّ، فترى كلّ ذي فنّ منه يستمد وعليه يعتمد، فالفقيه يستنبط منه الأحكام، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام"[١]،وكان اعتمادي في دراستي عليه؛ ليكون النور الذي أقتبس منه في بحثي ومعرفتي، لما يحمله من عظم التراكيب والأساليب والدراسات التي لا حصر لها، وما يحمله من أسرار لغوية تفيد عموم الناس وخصوصهم، ولما يحتويه من كمٍّ هائل وعظيم من الأساليب اللغوية الراقية من لغة العرب، والتي تدفع بالباحث إلى تناولها بالدرس والتحليل.

---

[١] : السيوطي، جلال الدين (٩١١هـ): الإتقان في علوم القرآن ، ط١، ١٤٢٦هـ، مجمع الملك فهد للطباعة–الرياض، ص٣

ولدى إمعان النظر في المراجع الرئيسة التي قد تفيد في دراسة هذا الموضوع، وجدت الباحثة أن البحث المعنون بـ (المعوذتان: دراسة أسلوبية) لإيمان الكيلاني هو منطلق هذه الدراسة، وهو الدافع لبحث موضوع الإنس والجنّ في القرآن وأساليب الخطاب لهما، لما يحمله من لفتات بيانية وجمالية، محاولةً لاكتشاف القيم الدلالية والجمالية التعبيرية فيها، والبحث عن هذه القيم وفق منهج نقدي أدبي.

إذ تعد الأسلوبية تيارا دراسيًّا حديثًا، يهتم بالنص الأدبيّ ويتناول قيم اللغة والبعد الدلالي لها، وذلك في البحث في المستويات اللغوية الأربعة: الصوتي، والمعجمي، والصرفي، والنحوي، وكل هذه المستويات تصب في بوتقة المستوى الدلالي.

ويعد " تودروفTZVETAN TODOROV"[١] من رواد هذا التيار ، وذلك لشدّة اهتمامه بالشبكة الداخلية للنص بمستوياته المختلفة، وربط النص بسياقه الخارجيّ، وهذه النتيجة التي ينتظرها الدارسون في دراستهم للنصوص الأدبية أسلوبيًا.

يعد استنطاق اللغة للبحث عن العدول فيها أمراً سبق أن درسه لغويون كبار وباحثون من العرب والغرب، والعدول عن القاعدة والخروج عن المعيار فيها لا يُعد دلالة سلبية بل فيه من القيم التعبيرية ما يميّز النص عن غيره، والبحث عن هذا العدول يتطلب معرفة في البنية العميقة والسطحية للتركيب، وهذا العدول له علاقة في البحث عن الدال والمدلول على

---

[١] : فيلسوف فرنسي وباحث لغويّ ١٩٣٩م

صعيد المعجم الرأسي والصعيد الأفقي للتركيب، والبحث في الخيارات الممكنة للكلمة التي اقتضى أن تكون في هذا الموضع لا غيرها من المرادفات لها.

لقد فسّر المفسرون القرآن الكريم وشرحوه، وكانوا هم "القارئ النموذجي" له[١]، وفي هذه الدراسة حصْر لتفسير بعضهم، وبحث عن أسباب النزول لربطها بالنص، فالمفسرون بيّنوا مَواطن الجمال فيه، إلا أن تركيزهم كان على البحث عن المعاني وتيسيرها للجميع، وهناك من درس وجوه البلاغة في القرآن لإثبات إعجازه، وكل ذلك لا يغني عن الاستمرار في دراسته والبحث عن مدلولاته، والبحث في وجوه إعجازه، واستخدام المعلومات والمعارف العلمية في تفسير آيات القرآن الكريم مما يجعل معاني الآيات أكثر وضوحاً.

وتعتمد الدراسة على تشريح النص وتحليله للوصول إلى الوظائف الجمالية من اجتماع التراكيب في سياق واحد، وهنا يحكم الذوق الفنّي الخبير للحكم بصلاحية هذا المسلك الأسلوبي أو عدم صلاحيته[٢].

تقف الدراسة عند آيات الإنس وآيات الجن، فالإنس والجنّ عالمان بينهما علاقة منذ بداية الوجود، وهي علاقة مبنية على تقابل وتكامل أو تنافر، فبينهما علاقة إمّا أن تكون قائمة على مصالح ومنافع أو على تكامل في الأدوار.

---

[١] : فكرة أن المفسرين هم القارئ النموذجي مستمدّة من أبحاث الأسلوبية للدكتورة إيمان الكيلاني، ومنها:بحث المعوذتان، بحث "وقضى ربك".

[٢]: انظر: قاسم، عدنان : الاتجاه الأسلوبي البنيوي في الشعر العربي، ط١، ١٩٩٢، مؤسسة علوم القرآن–عجمان، ص١٢٤

وموضوعات ذِكرهما في القرآن متنوعة؛ فتجد فيها العبادة والتسخير وتبادل المنافع أو غيرها مما وضحته الدراسة؛ لإثبات التواصل بين عالميّ الجن والإنس، وبيان أن لكل منهما خصائص تكوينية وسمات خَلقية مختلفة، غير أن ذلك لم يمنع من التواصل بينهما وذكرهما مشتركين في أفعال واحدة، فهما الثقلان اللذان ذكرهما الله–عز وجل– في كتابه العزيز بقوله: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الرحمن: ٣١ – ٣٢، فجعل منهما عالمين مشتركين وأحيانا تجد أن لفظ أحدهما يغني عن الآخر مثل كلمة "الناس" التي تدل أحيانًا على الجمع بين الإنس والجنّ مع أنها مشتقة من (أنس)، فكانت في كثير من المواضع تدلّ على الإنس والجنّ مجتمعين.

وتنقسم الدراسة إلى ثلاثة فصول، تناول الفصل الأول منها الآيات التي جمع المخاطِب فيها بين الإنس والجنّ مع تقديم أحدهما على الآخر، والبحث في الاختيارات اللغوية عن طريق البحث في المستوى المعجمي واخترت لهذا الغرض معجم لسان العرب لأنه معجم جامع لما انطلق به لسان العرب الفصحاء، وفي الفصل ذاته بيان العلاقات بين الإنس والجن من علاقة تنافرية أو تكاملية، وبيان الاختلاف في القراءات احتكامًا للتركيب النحوي والمعجمي في الآية.

وكان الجن في بعض الآيات متقدما على الإنس لأسباب منها قدرة الجن على النفاذ والسرعة، وأقدمية الخلق، وخُصص الخطاب بقوله: "يا معشر الجن والإنس" بتقديم الجنّ على الإنس، وقد يكون في ذلك دلالة على أنّ الجنّ غالبا ما يتواجدون جماعات.

أمّا الفصل الثاني، ففيه بيان للآيات التي تناولت الجنّ دون الإنس، فلم يكن ثمّة رابط لفظي بين الإنس والجن وكان الخطاب موجهًا إلى الجنّ لحكمة معيّنة اقتضتها كل آية، وكل ذلك عن طريق البحث في التركيب والبدائل الرأسية للكلمات، وكانت في سياقات معيّنة لم تختص إلا بالجن، وهذه السياقات هي التسخير والخلق والشرك ، وكانت الآراء في تفسير الآيات وبحثها لغويًا قليلة، فتجد في هذا الفصل اجتهادات كثيرة تحمل وجهة نظر الباحثة بدراستها للأساليب اللغوية في الآيات وتصنيفها في سياقات ودراستها صوتيا ونحويا.

وتناولت الدراسة في الفصل الثالث ذكر الإنس دون الجنّ بلفظ المفرد "الإنسان"، وكان فيه أكبر عدد من الآيات التي بيّن فيها المخاطب-الله عزّ وجلّ- أصل خلق الإنسان وحالاته وصفاته الخلقية والخُلقية، فكانت السياقات متنوعة مما جعل الباحثة تصنفها في مضامين وتجمع كلا منها بحسب خصائصها أو سمات أسلوبية واحدة، ومحاولة الجمع بين الآراء البيانية في التفاسير وترجيح تفسير على غيره لمعناه الأدلّ على المضمون، وبيان لمعنى كلمة "الناس" في احتمال كونها لا تعني الإنس فقط؛ فقد تحمل معنى الإنس والجنّ مجتمعين.

وانتهت الدراسة بخاتمة عرضت فيها أهم النتائج التي توصّلت إليها الدراسة، ومنها أنّ نسبة ذكر الإنس أكثر من نسبة ذكر الجنّ في القرآن الكريم، وأنّ لفظ "الناس" يطلق أحيانًا - في مجال العبادة والنفاق والعلم والتحدّي والشرك - على الإنس والجنّ، وما تخلُص إليه في الأسلوبية الإحصائية من نسبة ذكر الجن للإنس والعكس، ونسبة ذكر الإنس في القرآن بالنسبة لعدد الآيات كلها.

الفصل الأول:

(الإنس والجنّ)

المبحث الأول:

تقديم الإنس على الجنّ

المبحث الأول:

(الإنس والجن) مع تقديم الإنس

ذكرت المعاجم العربية القديمة والحديثة معنى كلمة "الجنّ" بأنه: (الخفاء والتستر)، فيقول ابن منظور(٧١١هـ) في معجم لسان العرب تحت جذر (جنن)[١]: " الجن بالكسر اسم جنس جمعي، واحده جنّي، وهو لفظ مشتق من الاجتنان، وهو التستر والاستخفاء، والجمع جنّان وهو الجِنّة، واستشهد بقوله صلى الله عليه وسلم: " الصيام جُنّة "[٢]، وفسّر هذا الحديث قائلاً[٣]: أي أن عبادة الصوم يغفر الله بها الذنوب ويخفيها ويسترها.

واستشهد بقول العرب: جنّ الرجل: إذا خفي عقله، وأيضاً من معانيها ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾النجم: ٣٢، فيرى أن الجنين سمّي جنيناً لأنه: يستتر في بطن أمه[٤]، ويُدرج مشتقات هذه الكلمة من جنّه الليل: لفّه بسواده، وجنّ النبت: طال واكتهل، والجنن: القبر، الجِنّة: الملائكة كما وردت في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ الصافات: ١٥٨ ، ومما جاء في السنّة قوله صلى الله عليه وسلم:

---

[١] : ابن منظور،جمال الدين (٦٣٠-٧١١هـ): لسان العرب، ط١، ،د.ت دار صادر، بيروت، ج١٣، ص٩٧، بتصرف.

[٢] : المصدر السابق.

[٣] : المصدر نفسه، ٩٧-٩٨

[٤] : المصدر نفسه ٩٨

"أيشتكي أم به جِنّة "[١] أي: جنون، وقوله صلى الله عليه وسلم: " جنّ عليه الليل" أي ستره، وبه سمّي الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار"[٢]، ويرى الفيروز أبادي في القاموس المحيط أن: قوله تعالى: "فلمّا جنّ عليه الليل رأى كوكباً" إذا أظلم حتى يستره بظلمته، والجَنن: القبر لستره الميت[٣].

وأمّا تعريف لفظ **الجنّ اصطلاحاً** فهو نوع من الأرواح العاقلة، المريدة، المكلّفة على نحو ما عليه الإنسان، ولكنهم مجردون من المادة البشرية، مستترون عن الحواس، لا يُرون على طبيعتهم، ولا بصورتهم الحقيقية، ولهم قدرة على التشكّل، منهم المسلمون ومنهم الظالمون أنفسهم بالكفر.[٤]

بهذا التعريف تكتمل الصورة لمعنى كلمة الجن، وتظهر طبيعة هذا العالم الخفيّ المتستّر عن عيون الإنس، ويظهر أن طبيعة هذا العالم مختلفة عن طبيعة عالم الإنس؛ لأن أصلهم الذي خلقوا منه يختلف تماماً عن طبيعة الأصل الذي خلق منه الإنس، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الحجر:٢٦- ٢٧، وسيأتي الحديث مفصلاً عن خلقهم بين ثنايا صفحات الدراسة.

---

[١] : ابن مالك: الموطأ، كتاب الحدود: ما جاء في الرجم، ط١، د.ت، دار الفكر العربي–بيروت، ج٢، ص٨٢٠.

[٢] : لسان العرب، ٩٧–٩٩ بتصرف.

[٣] : فيروز أبادي، مجد الدين(٨١٧هـ):القاموس المحيط، ط٨، ٢٠٠٥،مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ص١١٨٧.

[٤] : سابق، سيد: العقائد الإسلامية، ط١، د.ت ، دار الكتاب العربي–بيروت، ص١١٣.

أمّا كلمة **الإنس** فتحتمل المعاني التالية عند ابن منظور[١] والفيروز أبادي[٢] ومجمع اللغة العربية في المعجم الوسيط[٣]:

١. الإنسان، والجمع الناس، والأصل إنسيان، إلا أنهم حذفوا الياء لمّا كثر "الناس" في كلامهم، وأيضاً من جمعه: أناسي.

٢. الأَنس: خلاف الوحشة، والإنس والاستئناس.

٣. الإنسُ جماعة من الناس، والجمع أُناس وهم الأَنس وهم الحيّ المقيمون.

٤. الإنس: البشر، الواحد إنسي وأنسي، وذلك قوله تعالى: أناسيّ كثيرا.

٥. الإنسان: إنسان العين المثال الذي يُرى في السواد.

٦. استأنس وآنسَ بمعنى: أبصر.

٧. الأَنس: سكان الدار.

٨. أنِس الشيء أي أحسّه.

وتجتمع هذه المعاني على معنى واحد وهو الظهور أو الوضوح، ومن خلال التعريف اللغوي لكل من الجن والإنس تظهر الفروقات الجليّة بينهما، فنتأكد أن لكل منهما ما يميزه عن الآخر، وبالتالي ذِكر كلٍ منهما في القرآن له ميزته الخاصة ودلالته الخفيّة،

---

[١] : لسان العرب، ج٦، ص١٠-١٦ بتصرف

[٢] : القاموس المحيط/٥٣١

[٣] : الوسيط، ٢٩/١

ولأن القرآن الكريم كتاب منزل من عند الله " فإن اللفظة تتخذ موقعها في التركيب الجملي، لتؤدي معنىً خاصّاً يفرضه السياق الذي ترد فيه"[١].

والآيات القرآنية التي جمعت بين الإنس والجن **مع تقديم الإنس على الجنّ** هي:

١. ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ الأنعام: ١١٢

٢. ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨

٣. ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ الجن: ٥

وهناك آيات تقدّم فيها الإنس على الجنّ وبينهما رابط جمع ورابط نفي، وهذه الآيات:

١. ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ﴾ الرحمن: ٣٩

٢. ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ ﴾ الرحمن: ٥٦

٣. ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ ﴾ الرحمن: ٧٤

وإذا عُدّ المفسرون أنهم قرّاء نموذجيين للنص القرآني[١]، فتجد في تفسيرهم لمحات تبين وتتضح من خلالها العلاقة بين الإنس والجن بمعرفة سياق كل آية ورد ذكرهما فيها

---

[١] : من محاضرات اللسانيات للدكتورة إيمان الكيلاني في الجامعة الهاشمية٢٠١١

بتقديم أحدهما على الآخر، وبدءاً بتفسير الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ الأنعام: ١١٢، وذهب بعض المفسرين[٢] إلى أن الهدف من الآية: التعزية والتسلية للنبي –صلى الله عليه وسلم–، ودفع ما حصل معه من الحزن لعدم إيمان قومه به.

ويقول الشوكاني(١٢٥٥هـ)[٣]: كما ابتليناك بهؤلاء فقد ابتلينا الأنبياء من قبلك بقوم من الكفار فجعلنا لكل واحد منهم عدواً من كفار زمنهم، ويضيف الألوسي(١٢٧٠هـ) قائلاً[٤]: "فعلوا معهم نحو ما فعل معك أعداؤك لا جعلاً أنقص منه" .

إلاّ أن الاختلاف بينهم كان في التركيب النحوي، فاختلفوا في نوع الإضافة في قوله تعالى: (شياطين الإنس والجن)، وذهبوا إلى توجيهات محتملة، وهي:

---

[١] : الكيلاني، إيمان: بحث المعوذتان دراسة أسلوبية ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، م٨، عدد٣،ص١٧٩ ، ٢٠١٢م.

[٢] : أنظر: القرطبي ٦٧/٧، الشوكاني، ج١٥٣/٢، الألوسي ٤/٨.

[٣] : فتح القدير ١٥٣/٢.

[٤] : الألوسي، شهاب الدين محمد (ت١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط٢، ١٩٧٨م دار الفكر –بيروت، ٤/٨

١. الإضافة بيانية بمعنى من، وذهب إلى هذا الرأي الألوسي، والقرطبي، والشوكاني، وابن كثير(٧٧٤هـ)[١]، والبخاري(١٣٠٧هـ)[٢]، ويزيد الألوسي قولا على الإضافة البيانية: مردة النوعين، كما روي عن الحسن وقتادة ومجاهد.

٢. الإضافة اللاميّة، وذهب بهذا الرأي الأندلسي(٧٤٥هـ)[٣]، فيقول: إن المقصود شياطين الإنس التي مع الإنس وشياطين الجن التي مع الجن.

٣. الإضافة هي من إضافة الصفة للموصوف، وهذا الرأي أجمع عليه كل المفسرين واضعين هذا احتمالاً آخر للإضافة.

أما تفسيرهم لكلمة عدواً فأجمعوا على أنها مفعول به ثاني للجعل، وهي تبين نوع الأعداء، وقدّم المفعول الثاني على الأول (شياطين) للاهتمام، " لأن الجعل متعدٍّ إلى واحد أو اثنين، وشياطين أول مفعوليه قُدّم عليه الثاني مسارعة في بيان العداوة"[٤].

---

[١] : ابن كثير،اسماعيل(٧٠٠-٧٧٤هـ): تفسير ابن كثير،ط٢، ٢٠٠٢م، دار طيبة-الرياض ج٣، ص٣٢٠.

[٢] : البخاري، صديق حسن قنوجي (١٢٤٨-١٣٠٧هـ): فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: عبدالله الأنصاري، ط١،١٩٩٢م ،المكتبة العصرية،ج٤، ص٢٢٢.

[٣] : الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف (٦٥٤-٧٤٥هـ): تفسير البحر المحيط ، د.ط، د.ت، دار إحياء التراث- بيروت، ج٤، ص٢٠٨.

[٤] : روح المعاني، ٨/٥.

وقرأ الأعمش بتقديم الجن على الإنس، ويرى بعض المفسرين أن المعنى واحد[١]، إلاّ أن كل لفظة في القرآن جاءت في موقعها ولا تكون بمحلها إذا جاز تغييرها، وقد يجيزون هذا التقديم في مثل هذه المواضع التي لها خصوصيتها وللترتيب فيها دلالته الجمالية الخاصة.

أما في قوله تعالى: "يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول"، يختلف معناها بحسب نوع الإضافة في قوله تعالى: "شياطين الإنس والجن" التي يحددها المفسر، فمن قال بأنها بيانية يكون معناها أن هناك شياطين من الإنس يوسوسون للإنس وشياطين من الجن يسوسون للجن، ومن قال إنها لامية فيحتمل معناها أن هناك شياطين الجن يوسوس بعضهم إلى بعض، وشياطين الجن يوسوسون إلى شياطين الإنس، وذلك حسب ما تحدد به نوع الإضافة (بيانية) أو (لامية).

والأرجح في هذا القول أنّ للإنس شياطين وللجن شياطين، لما روى عوف بن مالك عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر، هل تعوذت بالله من شرّ شياطين الإنس والجن؟ قال: قلت: يا رسول الله وهل للإنس من شياطين؟ قال: نعم، هم شرٌّ من شياطين الجن"[٢].

---

[١] : أنظر: القرطبي، ٦٧/٧، الرازي ١٥٣/١٣.

[٢] : ابن كثير ١٦٧/٢

وقوله تعالى: "ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون"، أي ما فعلوا إيحاء القول بالغرور، فذرهم واتركهم وما يفترون، فيها التحذير الشديد من الكفر والترغيب الكامل في الإيمان[١].

وخلاصة القول: إنّ شياطين الإنس والجنّ مشتركون في العداوة للأنبياء، فالدعوة جاءت تكليفاً للأنبياء والإنس والجن هم المعنيّون بهذه الدعوة، و شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم:(يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ)، أي يعزر بعضهم بعضاً، وهذا يؤكد التواصل بين عالميّ الجن والإنس.

أمّا التركيب النحوي[٢] للجملة النواة في هذه الآية كالآتي:

١. جعلنا شياطين (الإنس والجن) عدواً لكل نبي

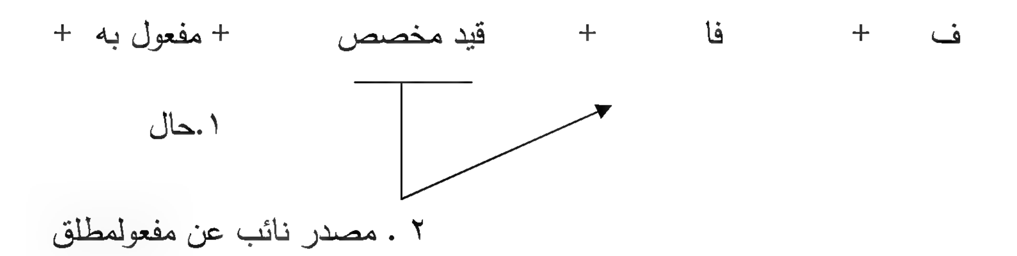
ف+فا + مفعول به أول + مفعول به ثانٍ + قيد مخصص

---

[١] : الرازي٧/ ١٥٥

[٢] : الرموز اختصارات لـ: (ف): فعل،(فا): فاعل، (م.به): مفعول به

٢. يوحي بعض (الإنس والجن) لبعض (الإنس والجن) زخرف القول غرورا



في الجملة النواة[1] الأولى تجد الفعل (جعل) يأخذ مفعولين وهما: شياطين+ عدواً، ولأن السياق تعزية وتسلية للرسول الكريم وتخفيف عنه بإخباره أن العداوة للأنبياء ليست بالجديد فهي موجودة وعانى منها الأنبياء كلهم، فالكلمة أو الموضع الذي تقوم عليه الآية هو العداوة، لذلك قُدِّم المفعول به "عدواً" على المفعول الأول "شياطين"، لإثبات شدّة العداوة الأزلية بين (شياطين الإنس والجن) والأنبياء.

أمّا الرازي والقرطبي فلهما رأي مختلف، فيرى الرازي وكذلك القرطبي أن (لكل نبي) مفعول به ثانٍ، و (شياطين) مفعول به أول، فيكون تركيب الآية على هذه الصورة:

جعلنا	شياطين الإنس والجن	لكل نبي	عدوا
ف+فا +	م.به أول +	م.به ثانٍ +	بدل

[1] :الجملة النواة: هي الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه/ انظر: في نحو اللغة وتراكيبها٨٧-٨٨

وعند الحديث عن (يوحي) قال الألوسي(١٢٧٠هـ)[١] إنّ أصل الوحي الإشارة السريعة، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة بعض الجوارح، وبالكتابة أيضاً.

ويلتفت إلى ذلك أيضاً صديق حسن البخاري[٢] فيقول: يوحي بعضهم جملة مستأنفة لبيان حال العدو، أمّا ابن منظور في لسان العرب يقول عن الوحي[٣]: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفيّ، وكل ما ألقيته إلى غيرك، وفي قوله تعالى: "يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا"، معناه: يُسر بعضهم إلى بعض، فهذا أصل الحرف ثم قُصر الوحي للإلهام، ويكون للأمر ويكون للإشارة.

فهذه الكلمة تحمل دلالات كثيرة ولكن كل هذه الدلالات تصبّ في مكان وسياق واحد في هذه الآية، مما يدل على أنها كلمة لا يستبدل بها كلمة أخرى، فاحتمالات الكلمات كثيرة وهي: يشير، يكتب، يرسل، يلهم، يكلّم، يُسرّ، إلا أن البديل الرئيسي لكل هذه الكلمات يجتمع في كلمة (يوحي).

---

[١] : روح المعاني ٥/٨

[٢] : فتح البيان في مقاصد القرآن ٢٢٢/٤

[٣] : لسان العرب ٣٧٧/١٥-٣٨٢

وفي كلمة (زخرف) ينظر المفسرون فيها نظرة مماثلة لكلمة (يوحي)، فيرى الألوسي[1] أنّ المزخرف هو المزيّن، ويقول أنّ قوله تعالى: "زخرف القول"، أي يزيّنون الباطل الذي هم عليه ويشوّهون الحقّ الذي عليه الأنبياء، وظهر ذلك منذ بداية الدعوة مع نوح عليه السلام في قوله تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا) القمر: ٩.

ويقف صديق حسن البخاري(١٣٠٧هـ) عند هذه الكلمة فيقول[2]: الزخرف هو الباطل من الكلام، الذي قد زُيّن ووُشي بالكذب، وكل شيء حسن مموه فهو مزخرف، ويلي هذه الآية قوله: (وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم) الأنعام: ١١٣، وتعني أن قلوب الكفار تميل إلى زخرف القول وباطله وترضاه.

و(القول) هوالكلام على الترتيب[3] ، وهو كل لفظ قال به اللسان، تامّاً كان أو ناقصاً، وقيل: القول في الخير والشر، والقال والقيل في الشر خاصة.

وعليه فإنّ التزيين في قول أعداء الأنبياء (شياطين الإنس والجن) يكون للكلام الذي يحتمل معنى الكذب، وفيه قبح وضرّ وريب، وبذلك تظهر الصورة العامة لتزيينهم الباطل، فهم يعلمون باطلهم وباطل ما يقولون إلاّ أنهم يحاولون إيحاءه إلى بعضهم ممن هم ضعاف وأقل قوة من شياطين الإنس والجنّ، ليضيّقوا على الأنبياء ويؤذوهم بكلامهم وأفعالهم وحتى أن شياطين الإنس الذين فسّرهم بعض المفسرين –كما سبق– على أنهم نوع من

---

[1] : روح المعاني ٥/٨

[2] : فتح البيان، ٢٢٣/٤

[3] : لسان العرب ٥٧٢/١١-٥٧٣

الإنس يوسوسون لغيرهم ويسمّون الباطل بأسماء أو أشياء مستحسنة بالظاهر –أو مقنعة لمن هم ضعاف القلوب–، ومن ذلك اتهامهم للأنبياء بالسحر والجنون.

أمّا البناء الكلّي للآية ضمن الآيات السابقة لها فيتضح منه أن هذه الآية امتدادٌ للأفكار السابقة في النص، وذلك ضمن مجيئها بعد قوله :﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٨ – ١١١.

يلتفت البستاني إلى ذلك في قوله[١]: هنا يتقدّم النص وفق منحى فنّي آخر، بتجربة سالفة للأنبياء معززًا بذلك سببية المطالبة بالإعراض عن المشركين، فيقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ الأنعام: ١١٢.

وفي قوله: (فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) يتضح البناء الكلّي للآية، فكلمة (أعرض) السابقة تؤدي إلى الاستدلال على سببية المطالبة.

---

[١] : البستاني، محمود: التفسير البنائي في القرآن الكريم، ط١، د.ت، مجمع البحوث الإسلامية–القاهرة ٤٧١/١

وقد تتفق مع البستاني في قوله بالصورة الاستعارية التي مثلت رمزا للحيرة[1] والشك وهي قوله تعالى: (ونقلب أفئدتهم)، فكانت الصورة موظفة فنيًا لإنارة الأفكار التي طرحها النّص، والتي تدور حول المطالبة بالإعراض عن المشركين لأنهم لن يؤمنوا برسالة الإسلام مهما واجهوا مختلف الأدلة الحسّية المباشرة.

والزمن في الآية كان يشتمل على:

جعلنا	يوحي	شاء	يفترون
↓	↓	↓	↓
ف[2].ماضٍ	ف.مضارع	ف.ماض	ف.مضارع
فاعله الله	فاعله الإنس والجنّ	فاعله الله	فاعله الإنس والجنّ

فتجد الأفعال التي فاعلها لفظ الجلالة (الله) جاءت ماضية، أمّا التي جاء فاعلها الإنس والجنّ فجاءت مضارعة، وقد يكون ذلك لأنّ مشيئة الله متحققة وثابتة، أمّا الإنس والجنّ فعملهم مستمر، والفعل المضارع يستمر إلى وقت غير معلوم، فهم يوحون إلى بعضهم ويوسوسون بدليل قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ الحجر: ٣٩، فالشيطان يجد في نفسه القدرة على الإغواء والوسوسة فيهدف إلى تحبيب بني آدم المعاصي، وذلك الحال مع شياطين الإنس والجنّ.

---

[1] : انظر: المصدر السابق

[2] : ف: فعل

يقول تعالى مخاطبًا الإنس والجنّ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨، ففي الآية إعجاز واضح بلا شك، وهو إعجاز القرآن معجزة النبي الخالدة ، وطال الحديث في إعجاز القرآن بين العلماء، وذهب المفسرون إلى أن المعجز في القرآن أحد أمرين، يذكرهما الرازي في تفسيره، فالأمر الأول: إنّ القرآن معجز في نفسه، والأمر الثاني: إن القرآن ليس معجزًا في نفسه إلا أن الله –تعالى– لما صرف دواعيهم عن الإثبات بمعارضته مع أن تلك الدواعي كانت قوية، فكانت هذه الصرفة معجزة [1] .

والمتفق عليه عند علماء المسلمين السنّة أن القرآن معجز في نفسه، والإتيان بمثل هذا القرآن أو سورة منه أو آية واحدة يعجز عنه الإنس البلغاء والجنّ.

وتجد في كل آية تحدى الله بها في القرآن كلمة (مثل)، وذلك في الآيات:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٣

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ يونس: ٣٨

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ هود: ١٣

﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾ الطور: ٣٤

---

[1] : مفاتيح الغيب ٥٤/٢١ بتصرف

وللطوسي(٤٦٠هـ) رأي سديد في تفسيره للكلمة فيقول: "المثلية التي تحدوا بالمعارضة بها معتادة بينهم، كمعارضة علقمة لامرئ القيس، ومعارضة الحارث بن حلّزة لعمرو بن كلثوم، ومعارضة جرير للفرزدق"[1]، فالكلمة جارية على لسان الإنس، والقرآن من اللغة العربية التي يتحدث بها من نزل القرآن عليهم وتحداهم بها، فلم تكن خافية عليهم.

ويروي ابن كثير سببًا في نزول الآية (الإسراء٨٨) فيقول: " إن الآية نزلت في نفر من اليهود جاؤوا رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، فقالوا: إنّا نأتيك بمثل ما جئتنا به، فأنزل الله هذه الآية"[2]، ويقف ابن كثير في هذه الرواية معارضًا ومبطلا لها لأن السورة مكية وسياقها كلّه مع قريش، واليهود إنما اجتمعوا بالرسول –صلى الله عليه وسلم– في المدينة.

وقوله (مثله)، قد تكون بمعنى نفسه، وذلك لقوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ البقرة: ١٠٦، ثمّ حرف الجرّ (من) يفيد معنى (من نفس القرآن)، أو بجودته وبفصاحته، وهذا يُظهر عجزهم عن أنه لم يسبق له مثيل ويدعم القول هذا قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ

---

[1] : الطوسي، نصير الدين(٤٦٠هـ)):التبيان في تفسير القرآن، ط١٤٠٩،١هـ، دار إحياء التراث العربي–بيروت ٥١٧/٦

[2] : انظر: ابن كثير ١١٨/٥

﴿٢٥﴾ ﴾ الأنعام: ٢٥، ثمّ قوله: (مثله) بالإضمار يثبت قطعية عدم التوهم بوجود مثيل للقرآن أو لصفة منه.

وموضوع الإعجاز تحدث العلماء فيه كثيرا[1]، والتعجيز للإنس كان مفهومًا لبلاغتهم وطلاقة لسانهم، أمّا التعجيز للجنّ فكان للمبالغة في تعجيز الإنس، فالجن قادرون على الأفعال المستغربة فيتحداهم الله مجتمعين بأن يأتوا بمثل القرآن، فكان تعجيز الإنس عن الإتيان بمثله "يكفي ليكون معجزا على الجنّ"[2]، وإذا كان شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول فليرونا مجتمعين كيف يأتون بشيء من مثل القرآن؟.

أمّا التركيب النحوي للآية فهو بالآتي:

لئن　　اجتمعت الإنس والجنّ　　على أن يأتوا بمثل القرآن　　لا يأتون بمثله

١.لام زائدة+حرف شرط　ف+فا　　ف+فا　　ع.نفي(ف+فا)

(فعل شرط)　　(جواب شرط)

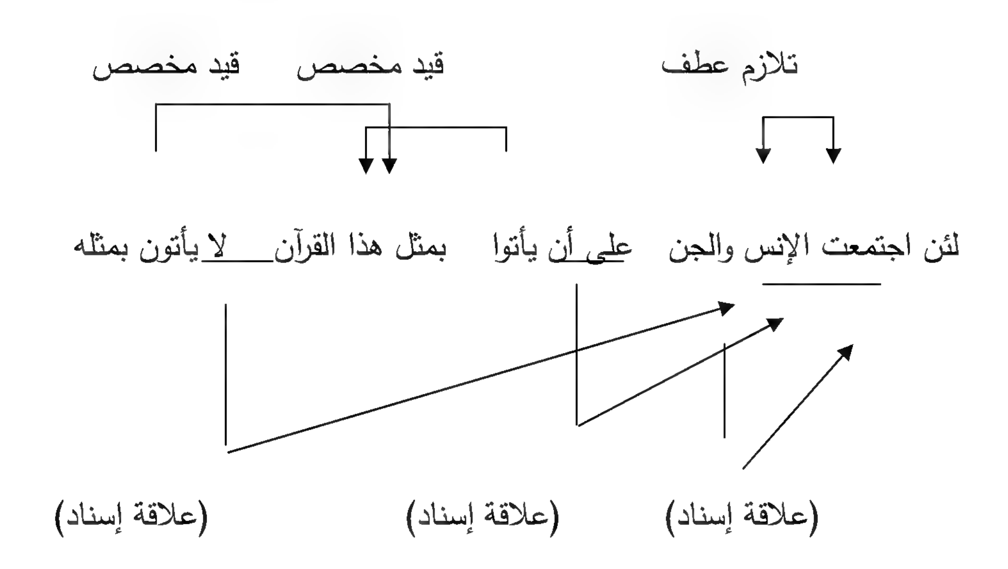
٢.لام موطئة للقسم+توكيد　ف+فا　　ف+فا　　ع.نفي (ف+فا)

(جواب قسم)

والآية مكوّنة من الجملة النواة التي يحسن السكوت عليها: لن يأتي الإنس والجنّ بمثل القرآن، ولتأكيد عدم قدرتهم حتى لو اجتمعوا جاء بالفعل (اجتمعت)، ولتأكيد استحالة

[1] : انظر: إعجاز القرآن للباقلاني، إعجاز القرآن للرافعي
[2] :مفاتيح الغيب ٥٤/٢١

ذلك ولزيادة التحدّي قدّم الفعل (اجتمعت) على الإتيان فصارت: إن اجتمعت الإنس والجنّ لن يأتوا ببمثل القرآن، والقسم يؤدي دور التوكيد فأقسم على ذلك، ولنفي أي إمكانية على الإتيان ولو بصفة من صفات القرآن أضاف قوله (مثله) وكرر ذلك في مرتين.



فتجد تكرار المتحدَّى ست مرات، بالنسبة للمتحدَّى به مرتين (القرآن) وذلك لعظم المتحدّي والمتحدَّى به.

واستخدام الفعل(اجتمعت) للدلالة على أنهم يحاولون ذلك بتدبير وقرار مُتفق عليه بينهما، والإتيان في قوله : (أن يأتوا) يحمل دلالة تختلف عن كلمة أخرى من مثل (يجيئوا)؛ إذ إن الفعل (أتى) يعني: "(أتى): "بمعنى: جاء، والأَتو: الاستقامة في السير وبسرعة"[١]، فيحمل المعنى السرعة والخفّة، فناسب الإتيان في سياق التحدّي، ويأتي التفصيل عليها في فصل لاحق من الدراسة.

---

[١] : لسان العرب١٤/١٣-١٧

وتقديم الإنس على الجنّ للأفضلية التي مُيّز الإنس فيها على الجنّ من فصاحة وقدرة لغويّة وبلاغية.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ ﴾ الجن: ٥لم يكن الخطاب موجها من الله للإنس والجنّ؛ بل هذا كلام يجري على لسان الجن، ويتفق المفسرون[1] على أن الآية فيها اعتذار من الجنّ لله لتقليدهم واتباعهم سفيههم، ويتضح ذلك من قولهم: (ظنّنا)، فالفعل يحمل الشكّ، فقد ظنّوا أن لن يكون من الإنس والجنّ من يُكذب على الله، وينسب له الصاحبة والولد.

ويؤكدون ذلك العذر بـ (إنّ)، ويؤكدون سوء ظنهم بالإنس والجنّ بـ (لن)، التي تستخدم لـ (تأبيد النفي)، فكأنهم " كانوا متوغلين في حسن ظنّهم بمن أضلوهم ويدل على أن هذا الظن هنا بمعنى اليقين وهو اليقين المخطئ"[2] ، وهذا التقليد في العقيدة فيه خطر على صاحبه، فيجب اتهام رأي المقلّد حتى ينهض بدليل ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦ ﴾ الإسراء: ٣٦

أمّا التركيب النحوي[3] للآية فهو:

أنّا	ظننا	أن لن تقول الإنس والجن	كذبا
ع.توكيد	ف+فا	ع.نفي+ف+فا	١.مصدر مؤكد لـ(تقوّل)

[1] : انظر: روح المعاني ١٠٦/٣٠، مفاتيح الغيب ١٥٤/١٦

[2] : التحرير والتنوير ٢٢٤/٣٠

[3] : (ع): عنصر

(محل الظن) ٢.م.به لـ(تقول)

على هذا تجد قراءتين للفعل: (تقول)، فمنهم من قرأ بفتح التاء والقاف (تَقَوَّل)، فيحمل شدّة ومبالغة في كثرة قول (الإنس والجنّ) على الله كذبًا، وقراءة (تقول) بالتخفيف قرأ بها الجمهور، وقد يكون السبب هو عدم بيان أن هناك من يُكثر من اللغط والحديث والافتراء على الله.

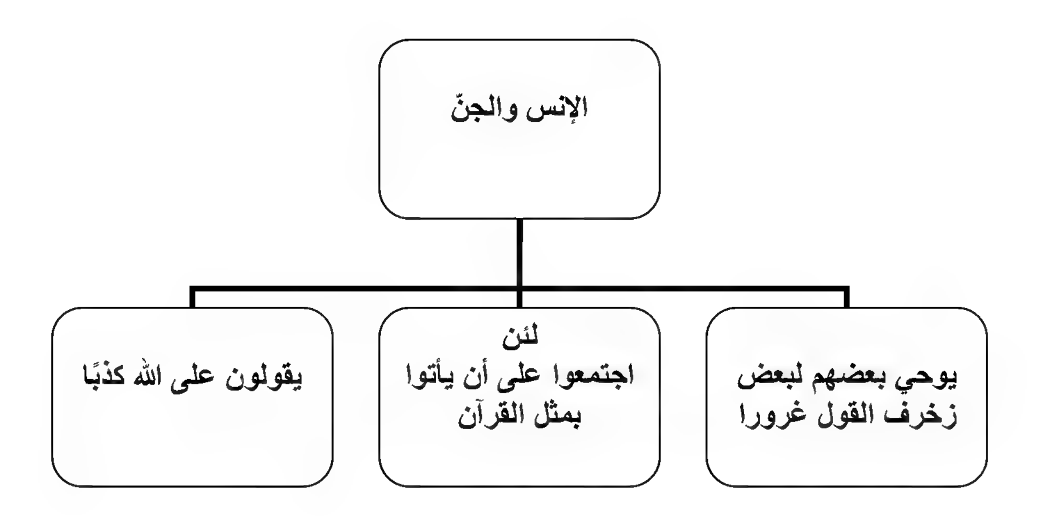
في الآية تقديم للإنس على الجنّ، فيعني أنهم ظنّوا بهم خيرا، فاستبعدوا أن تكذب الإنس والجنّ على الله، فالتقديم للإنس لأنهم يعلمون أن الإنس أفضل منهم؛ وإذن فالأفضل مقدّم لعدم احتمال كذبه على الله.

ثمّ تنكير كلمة (كذبا)؛ لأنهم يشملون بها كل أنواع الكذب ودرجاته، فلم تأت كلمة (كذب) مُعرّفة إلا في سياق بيّن فيه نوع الكذب، وذلك في قوله تعالى: يونس ٦٩، والمائدة ١٠٣، وكون قولهم: (كذبًا) ولم يقولوا: كاذبا أو غيرها من التعابير، ذلك "لأن المصدر أقوى من حيث الدلالة والتعبير"[1].

واستخدام الإثبات في الظن والنفي في محل الظنّ -وهو القول- في قولهم : وأنّ ظننا ← لن تقول، فاستخدام الإثبات للظن في حال نفي شيء فيه قوة لا يحملها قولك: (إنّا لم نظن أنه تقول)، ثمّ إن (لن) مؤكدة تفيد توكيد النفي عن المستقبل وليس نفي المستقبل فقط.

تستنتج أنّ الإنس والجنّ في الآيات الثلاث أدّوا الأفعال الآتية:

[1] : انظر: لمسات بيانية، فاضل السامرائي www.lamasaat.com



أمّا تقدّم الإنس على الجنّ في الآيات السابقة فيعود للأسباب الآتية:

١.الآية الأولى: الإنس والجنّ أعداء للأنبياء إلا أن عداوة الإنس أشدّ.

٢. الآية الثانية: الأفضلية في الفصاحة والبلاغة للتحدّي هم الإنس.

٣. الآية الثالثة: الجنّ هم المتحدثون وصُدموا بما فعلوه من تصديق الإنس والجنّ بالافتراء على الله، فما كان لهم إلا أن يلقوا باللوم على الإنس ثمّ الجنّ.

المبحث الثاني:

"الجنّ والإنس" مع تقديم الجنّ

في القسم الثاني من خطاب الإنس والجن مع تقديم الجنّ يقول تعالى:﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ﴾ الأنعام: ١٣٠ ، فيوبخ الله الكفّار يوم القيامة ويبين لهم أنه لا يكون لهم إلى الجحود سبيل، وفي هذه الآية بدأ الخطاب من الله للجنّ ثمّ الإنس، أي أنه بدأ لومَه للجنّ قبل الإنس، والأسلوب : يامعشر، فيه شروع لحكاية ما سيكون يوم القيامة من توبة للمعشرين.

ووقف المفسرون عند قوله: (رسل منكم)، فاختلفوا في جنس هؤلاء الرسل؛ هل هم من الإنس أم من الجنّ أم من الإنس والجنّ؟، ويبين الرازي الآراء في هذا الاختلاف[١]، ومجمل هذه الآراء:

رسل من الجنّ: يقول الضحّاك: أرسل من الجنّ رسلا كالإنس، بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤ ﴾ فاطر: ٢٤ ويستأنس الجن برسول

---

[١] : انظر: مفاتيح الغيب ١٣/١٩٤-١٩٥

من الجنّ أكثر من استئناسهم بالإنس، ويوافقه الفرّاء فيُقدّر مضافًا إليه محذوفًا، وهو(من أحد منكم).

رسل من الإنس دون الجنّ: فيضع الرازي رأيه وابن كثير [1] يوافقه، فيقولان بأن التقدير (منكم) أي من جملتكم، ويرى الشوكاني [2] معنى منكم: ممن هو جانب لكم في الخلق والتكليف على التغليب للإنس.

ولكن لو نظرت إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الأحقاف: ٢٩، لوجدت أن من الجنّ منذرين وقد لا يُشترط في المنذر أن يكون حاملا لرسالة من الله ليكون رسولا، فيكون بذلك من الجن منذرون استمعوا وبلّغوا غيرهم ما سمعوا، فتجدهم بذلك يدينون بما يدين به الإنس، لأنهم يسمعونهم ويرونهم من حيث لا يراهم الإنس، فأي نبي يُبعث إلى قومه يعرفونه وتصلهم دعوته، فبذلك لا يحتاجون إلى رسول من جنسهم.

ويقف من وصله التنبيه موقف الشهادة على نفسه بما عصى وارتكب من ذنوب ولم يتبع ما جاء به الرسل، وهذا من جملة المقاولة يوم الحشر وتوبيخ لهم.

لنقف عند الاستفهام في هذه الآية؛ فهمزة الاستفهام دخلت على نفي، وكان النفي داخلا على الإتيان بالرسل، فيُنتظر من الإنس والجن التصديق بما جاء به الرسل، فأفاد

---

[1] :انظر: ابن كثير ٣/ ٣٤٠

[2] : فتح القدير: ١٦٣/٢

الاستفهام معنى التقرير، ويقول ابن عاشور (١٣٩٣هـ)[١]: "الاستفهام أقطع لعذره في المؤاخذة به، كما يقال للجاني: ألست الفاعل كذا وكذا" فيكون إقرار لهم بالاعتراف أنهم ضلّوا ولم يتبعوا الرسل.

وهذه الآية نتيجة ترتبت لاتباع الإنس للجن تلبية لشهواتهم ورغباتهم ومطامعهم، وذلك لقوله تعالى في الآية السابقة لهذه الآية: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٨ .

تدل كلمة معشر -كما سبق- على المخالطة والعشرة، والكلمة تعني في اللغة: "الجماعة المتخالطين كانوا أو غير ذلك، والمعشر: النفر والقوم، ومعناهم الجمع ولا واحد لهم من لفظهم"[٢]، فتحمل الكلمة الاجتماع على أمر واحد، وقد يكون الخطاب بدأ للجن لأنهم قد يتواجدون -غالبا- في جماعات ، فكانت كلمة معشر سابقة للجن من الإنس.

قوله: (يقصّون)، من الفعل: قصّ، والقصّ لغة: "البيان وسوق الكلام بعد البيان"[٣]، فالفعل يشتمل أكثر من الإخبار، ففيه البيان وليس هذا فقط، وإنما إتباع الخبر تلو الخبر وسَوق الكلام، وهذا المعنى لا تحمله كلمة أو بديلا لغويًا آخر، وتحمل الكلمة معنى التدرّج والتسلسل والتوضيح والدّقة.

---

[١] : التحرير والتنوير ٧٦/٨
[٢] : لسان العرب ٥٧٤/٤
[٣] : لسان العرب ٧٣/٧-٧٥

وقوله: (يُنذرون)، من الجذر اللغوي (نذَر)، ويعني: الإبلاغ ولا يكون إلا في التخويف[١]، وهذا ماجاء به الرسل، وذلك الأسلوب من الأساليب الدّعوية التي يتبعها الدعاة والأنبياء، وله فائدة عظيمة قد لا تتأتى من الترغيب، وقولهم : (شهدنا) "فيه الخبر القاطع"[٢]، فيجزم الكافرون على فساد عقولهم واتباعهم الضلال، ويُشهدون ذلك بأنفسهم على أنفسهم.

التركيب الخطابي في الآية :

المخاطِب: الله← (يا معشر الجنّ والإنس)← (ألم يأتكم رسل منكم)

المخاطَب: الجنّ والإنس← قالوا← (شهدنا على أنفسنا)

فكانت النتيجة أن غرتهم الحياة الدنيا وجاء اليوم الذي ستشهد عليهم أنفسهم.

ومن ناحية التركيب النحوي تجد الأفعال: يأتكم، يقصون، يُنذرون← فاعلها (الرسل) والمفعول به (الجن والإنس)، وهي أفعال مضارعة الأوّل منها مجزوم والفعلان الباقيان مرفوعان، والفعل المضارع يدّل على الاستمرارية، فالرسل استمرّوا في الدعوة وإبلاغ الرسالة، والرسالة مستمّرة وباقية، وستستمر لنهاية الحياة، فوظيفة الرسل لا تنتهي بموتهم وتستمر ببقاء الرسالة، ورسالة الإسلام القرآن الكريم، مستمرّة باقية.

[١] : انظر: لسان العرب ٢٠٠/٥-٢٠١
[٢] : انظر: لسان العرب ٢٤١/٣

الأفعال: شهدنا، غرّتهم، شهدوا← أفعال ماضية، الفاعل للفعلين (شهدنا، شهدوا) هو الجن والإنس، والفعل (غرّتهم) فاعله الحياة الدنيا، فالفعل الماضي لا يمكن تغييره، وتحقق وانتهى، وغرور الحياة الدنيا هي ما جعل الجن والإنس يضلون ويتبعون شهواتهم، وأي ذنب يعترفون بارتكابهم له؟! إنه الكفر.

الآية الثانية التي فيها ذكر للجن والإنس هي قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ الأعراف: ٣٨ وهي مشابهة للآيات: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ الأحقاف: ١٨ وقوله: ﴿وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ فصلت: ٢٥، والسياق العام في هذه الآيات هو وجود أمم خالية من الجنّ والإنس حق عليهم القول في الخسران والكفر.

وتجد في الآية: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ الأعراف: ٣٨ حقيقة كونية، وهي أن الجنّ يموتون كالإنس، لقوله: (خلت)، ويثبت ذلك قوله: (كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾) الرحمن: ٢٦ ، ومن السنّة قوله-صلى

الله عليه وسلم– : "أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت، والإنس والجن يموتون"[١].

يخاطب الله –عز وجل– في آية سورة الأعراف، المفتريين المكذبين بآيات الله وما أنزله من الحق، وهذا ما جاء في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٦٦ - ٦٧، في الآية الأولى يجد المفسرون أن الخطاب كان موجّها من الله –تعالى– ، وهناك رواية بأن القائل هو: "خازن النار"[٢]، والأرجح أنه كلام الله لأنّ من يقول (حقّت) هو من يجعلها حقّا عليهم، ويقف الرازي عند الآية فيقول فيها: " ادخلوا في النار مع أمم، وعلى هذا القول في الآية إضمار ومجاز، أمّا الإضمار فلأننا أضمرنا في النار، وأمّا المجاز فلأننا حملّنا كلمة (في) معنى (مع)"[٣].

وقد يحتمل المعنى الدخول بين الأمم فتكون (في) ظرفية، وهو رأي لم يرجحه بعض المفسرين[٤]، إلا أن السياق العام للآية يجعل احتمال كونها بمعنى الظرفية أقوى؛ فالأخذ بالظاهر أولى من التقدير، وبذلك لا يخل المعنى فدخولهم مع بعضهم وفي بعضهم فيه

---

[١] : بخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري بشرح فتح الباري، شرح:أحمد العسقلاني، ط١، ١٣٨٠هـ، المطبعة السلفية– القاهرة ٣٦٨/١٣

[٢] : انظر: مفاتيح الغيب ١٤/ ٧٢، الجامع لأحكام القرآن ٢٠٤/٧

[٣] : مفاتيح الغيب ٧٢/١٤

[٤] : منهم: ابن كثير ٤١١/٣، والقرطبي في الجامع ١٨٤/٧

ترتيب، وفي كل الأحوال الدخول حق عليهم وواقع مثلما وقع على غيرهم من الأمم السابقة، ويتبين ذلك في تحليل الآيات من قوله تعالى:

١- ﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨ ﴾ الأعراف: ٣٨ ← الافتراء على الله وتكذيب الرسل

٢- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ١٨ ﴾

الأحقاف: ١٨ ← عقوق الوالدين وعصيان أوامر الله

﴿ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ٢٥ ﴾ فصلت: ٢٥ ← الذين كفروا واتبعوا قرناء السوء فشهدت عليهم جلودهم في الآخرة، فتجد كل ما سبق في الآيات كان يجتمع تحت مسمّى (الكفر بالله).

تقف عند الفعل الماضي (خلت)، وتجد المفسرين أقرّوا أن الفعل جاء بالماضي للتحقيق، ويفسر الرازي[1] وابو حيان [2] الفعل(خلت) على أن الأمم الخالية هي السابقة في الزمان والمكان، الكائنة في النار، وهذا التفسير يُعطي دلالة أنه -تعالى- لا يُدخل الكفار أجمعين في النار دفعة واحدة؛ بل يُدخلهم أفواجا، فيكون فيهم سابق ومسبوق ويشاهد الداخل

---

[1] : انظر: مفاتيح الغيب ٧٣/١٤

[2] : انظر: البحر المحيط

في الأمة من سبقه، ويبرهن هذا الكلام على أن في أمم (بين أمم) وليس (مع أمم)، لأن المراد من (في) معنى الإقحام والازدحام وذلك أدعى للذلة والشدّة لبيان روح الصراع، أمّا (مع) فلها ظلال الصحبة والمرافقة الحسنة.

وهنا في هذا الموقف لا يملك الكافرون إلا الندم والتحسر على ما فعلوه، فيشتم بعضهم بعضا، ويلعن اللاحق منهم السابق، والأتباع القادة، والجميع يعلم أنّ لا فائدة من هذا اللوم والندم، فيطلب الأتباع مضاعفة العذاب لمن مهد لهم طريق الكفر.

عندما (ادّاركوا فيها) بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار وأدرك بعضهم بعضًا واستقر معه[١]، وفي قوله : (ادّاركوا) قراءات، "فقرأ الأعمش: تداركوا، وقرأ ابن مسعود: أدركوا، وأبو عمرو: إداركوا"[٢]، وتجتمع القراءات تحت جذر الكلمة وهو(درك) ويعني: " اللحاق، وتداركوا: لحق آخرهم أولهم"[٣]، وأصله تداركوا فأدغمت التاء في الدال و" اجتلبت الألف ليسلم من السكون"[٤]، والقراءة (ادّاركوا) فيها معنى التفاعل والاشتراك لأنها من الوزن (تفاعل) وهذا تجده في هذه القراءة وليس في القراءات الأخرى.

بعد هذا التدارك واجتماعهم في النار صار كل منهم يلقي اللوم على غيره، وتقف هنا لتجد أن المعنى لـ (أولاهم وأخراهم)، يحتمل احتمالين وهما:

الأوّل: أولاهم ← أوّلهم دخولا إلى النار، أخراهم←آخرهم دخولا إلى النار.

---

[١] : مفاتيح الغيب ٧٣/١٤

[٢] : الجامع لأحكام القرآن ٢٠٤/٧

[٣] : القاموس المحيط ٩٨٣

[٤] : لسان العرب ٤١٩/١٠

الثاني: أولاهم ← القادة والرؤساء أوّل منزلة، أخراهم←الأتباع والسفلة آخر منزلة.

ويطلب الأتباع –بعد ندمهم ومعرفتهم بأنه لا توبة الآن ولا ينفع الندم– مضاعفة العذاب للرؤساء إذ هم المسبب الأكبر لدخولهم النار، والضِعف: "المثل الزائد على مثله مرّة أو مرات، وعن ابن مسعود أنّ الضعف هنا الأفاعي والحيّات "[١]، أمّا ابن منظور فيقول: "والضعف في كلام العرب على ضربين، أحدهما: المثل، والآخر: أن يكون في معنى تضعيف الشيء"[٢] وعلى هذا تجد احتمال كونها الأفاعي قليلا.

وتطرح سؤالا مفاده : لماذا لكل ضعف؟، فتجد أنّ أولهم اجترحوا المعصية والكفر، وأنّ آخرهم ألغَوا عقولهم وإدراكهم ورضوا أن يتبعوا الضالين فنالوا الضعف من العذاب، ولما أوجدوه من كفر برسالة الله وعصيان الرسل، ثمّ إن الله أوجد لكل واحد منهم عقلا يفكر فيه قبل فعله آي فعل، وأن لايكون مقلدًا أعمى ويتدبر آيات الله في خلقه، فإن عرف الجن والإنس الحق من الباطل فكيف يتبعون الباطل ويلقون الملامة على من دلّهم عليه!

الخطاب للفريقين، ويقول تعالى: (يعلمون) فتكون لأهل الآخرة، وقرئت (تعلمون)[٣] على أنها لأهل الدنيا، ويوافق هذه الآية ما جاء في قوله تعالى في السور: العنكبوت ٢٥/ البقرة ١٦٦–١٦٧/ النحل ٨٨.

---

[١] : انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٠٥/٧

[٢] : لسان العرب ٢٠٤/٩

[٣] : الجامع لأحكام القرآن ٢٠٥/٧

فوجود مجتمع مكذّب برسالة الإسلام هو ما يتمحور حوله البناء الكلّي لهذه الآيات، وكأن المتكلم (الله) يقول للمكذبين " ادخل أيّها المجتمع المنحرف في النار مع أمم سالفة من الجن والإنس"[١]، إنّ ثمة منحى له أهمية بالغة في هه الآية، وهو عرض حقائق كونية في محاورة المتكلم مع المكذبين، وهي أن مجتمع الجن سوف يواجهون المصير نفسه الذي سيواجهه مجتمع الإنس إن كذبوا بآيات الله.

ويتنبه المكذبون إلى أخطائهم متأخرين، فيتملكهم الأسى والحزن، فتُشحن قلوبهم بعواطف الكراهية فتجري على ألسنتهم اللعائن والملامات على غيرهم.

وبعد هذا البناء تجد بناءً يبين أن الداخلين إلى النار يستوحون من تجمعهم انطباعات تتمثل في قوله تعالى: (قالت أخراهم لأولاهم)، فهذا مشهد حي ناطق تتجلّى فيه مشاهد، وهي:

المشهد الأول: قال ادخلوا في (مع) أمم (الجن والإنس) في النار.

المشهد الثاني: كلّما دخلت أمّة لعنت أختها

المشهد الثالث: ادّاركوا فيها(النار) جميعًا.

المشهد الرابع: قالت أخراهم بسبب أولاهم –بعد أن اتخذ بعضهم بعضا أولياء في الشرّ– هؤلاء ← أضلّونا، فيترتب على هذا الدعاء بقولهم: آتهم ضعفين من العذاب.

---

[١] : التفسير البنائي في القرآن ٢١/٢

المشهد الختامي: الردّ عليهم بقول المخاطب: لكل ضعف من العذاب.

رُكبت هذه المشاهد من الأفعال الماضية التي تدل على تحقق الفعل، وهي:

(دخلت، لعنت، ادّاركوا، قالت، أضلونا) وانتهت بمشهد الردّ عليهم بجملة مؤكدّة لتثبت في نفوسهم تحقق العذاب والضعف فيه.

بدأ بالفعل (ادخلوا) وانتهى قبل الرد عليهم بالفعل (آتهم)، فدخولهم النار واقع لا محالة، ولكن بعد أن قبلوا بهذا المصير أرادوا التشفي من الرؤساء فطلبوا ضعف العذاب.

الجملة النواة في الآية هي : ادخلوا يا بني آدم في النار مع الإنس والجن الذين خلوا، فبدأت الجملة بالفعل: ادخلوا، وهذا قوله تعالى يوم الحشر للكافرين لكفرهم وعصيانهم وافترائهم، وكأن الفعل يرهص إلى معنى الزجر والترهيب وجعل الرؤساء والقادة –في الضلال والانحراف– هم أوّل دخولا وذلك لقوله: كلّما دخلت أمة لعنت أختها، ودلالة الأمم اختلاف الأجناس.

وعدد الضمائر أو الدلائل العائدة على الجن والإنس السابقين في الدخول إلى النار ثمانية، وهي:

أمّة –أختها – ادّاركوا – جميعا – أولاهم –هؤلاء – أضلونا – آتهم

بالمقابل تجد أن عدد الدلائل أو الإشارات للاحقين منهم سبعة ، وهي:

ادخلوا – قبلكم – ادّاركوا – جميعًا – أخراهم – هؤلاء– أضلّونا

وهذا لأنّ السابقين عذبوا بالنار لأسبقية دخولهم، والمتكلم يخاطب اللاحقين، والمشاهد تبرز دور اللاحقين في دعائهم وسؤالهم مضاعفة العذاب أكثر من ذكر السابقين.

وتساوى السابق باللاحق عند العذاب لقوله: (لكل ضعف)، وتحمل (لكل) معنى التأكيد والاستمرارية، والتنكير للخبر(ضعف) قد يكون لأن العذاب غير مخصص وليس بمقيّد فالعذاب يكون بخلودهم في النار، ولو قال: (لكل الضعف) لاحتمل المعنى الضعف المؤقت من العذاب لتحديده بالتعريف.

أمّا الخطاب في قوله: (قالت أخراهم لأولاهم) يوحي بأن الخطاب موجه للسابقين في الضلال وهم الرؤساء، إلا أن جملة القول بدأت بـ (ربنا) فكيف يكون الخطاب موجهًا إلى الله؟، فتجد الإجابة في أسلوب الدعاء عندهم؛ فقولهم (آتهم) يقصدون فيه ربنا آت المتأخرين عنا ضعف العذاب، فتكون اللام في قوله: (لأولاهم) لا تعني أن الخطاب من الأولين للمتأخرين بل من الألولين لله–عز وجلّ– بسبب المتأخرين.

ويأتي الرد من الفئة الثانية في قوله: ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ الأعراف: ٣٩.

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ الأحقاف: ١٨، في الآية تشابه لفظيّ لما جاء في الآية السابقة، وجاء في سبب نزولها [١] أنها نزلت في عبد الله بن أبي بكر قبل إسلامه، وكان هذا منه قبل إسلامه، إلا أنّ

---

[١] : الجامع لأحكام القرآن ١٨٥/١٦

عائشة أنكرت أن تكون نزلت فيه لقوله تعالى : (ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ)، وأوافق الرأي بأنها لم تكن في أبي بكر إذ كيف تكون كذلك ويقول تعالى : (إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ) وهذا تأكيد على تحقق خسارتهم؟.

أمّا في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩ ﴾ الأعراف: ١٧٩

فيقف العلماء ههنا وقفة في فلسفة إرادة الجن والإنس، وقدرتهم على الإيمان والكفر، وهل هم مسيرون أم مخيرون، وتجد الرازي يقف هنا ويسهب في الشرح[1].

وهذه الآية "كلام مستأنف لمضمون ما قبلها بطريق التذييل"[2]، فقد كانت الآية عطفًا على الآية السابقة وهي قوله: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ ﴾ الأعراف: ١٧٥، فصاحب القصة في الآية كان على الهدى ثم ضلّ وكفر، وهذا تجد عليه التذييل في قوله :﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ ﴾الأعراف: ١٧٨، ثم تلاها قوله : (ولقد ذرأنا) وهذا لتأكيد الله على أنه يخلق الخلق ويعلم من يضل ومن يهتدي.

بدأت الآية بـ(قد) والفعل الماضي الذي يفيد التحقيق، أمّا الفعل (ذرأ) فيعني: "خلق، ويذرؤكم: يكثركم، والذرء مختص بخلق الذرّية، والذرّية نسل الثقلين"[3]، فالفعل مختص

---

[1] : انظر: مفاتيح الغيب ١٥/٦٠-٦٧

[2] : روح المعاني ٩/١١٩

[3] : لسان العرب ١/٧٩--٨١

بالإنس والجن، والله خلق الخلق منهم وجعل فيهم الذرية وهو يعلم قبل ذرئهم أين مقعد كل منهم، ويذكر في هذه الآية من خلق منهم لجهنم.

وفي قوله: (كثيرا)، دلالة على أن ثمّة خلقًا من الجن كثيرًا كما أن ثمّة خلقًا كثيرًا من الإنس، وحال الجن كالإنس في الخلق من حيث السمع والنظر وامتلاك القلب، إذ لهم آذن وعيون و" قلوب ليس من شأنها أن يفهموا بها شيئا مما شأنه أن يُفهم، فيدخل فيه ما يليق بالمقام أن يدخل من الحق ودلائله دخولا أوليا"[1]، فبذلك تنتفي عن هؤلاء الجن والإنس الصفات المختصّة بالعقلاء الذين يفقهون ويدركون بحواسهم مالا تدركه الأنعام التي تأكل وتشرب وتسمع وترى، إلا أنهم لا يدركون بعقولهم، فيقول –تعالى– فيهم: بل هم أضل، وكأنه جعلهم أكثر ضلالا وشرا من الأنعام، فلا يهتدون إلى الصواب المؤدي إلى الثواب، وما يهم الأنعام هو الأكل والشرب، وخلقت مسخّرة ليس لها عقل وليس من شأنها أن تعمر الكون والحياة، وإنما خلقت للثقلين ولم تخلق لتكون خليفة في الأرض، فالأنعام مسخرّة في حين أن الثقلين مكلفان.

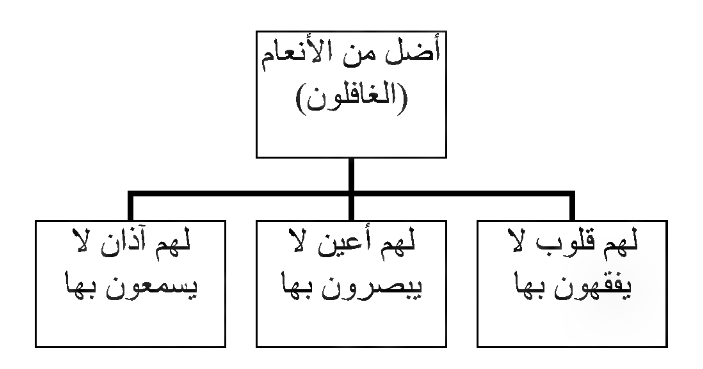
والغفل لغة: "غفل عنه: تركه وسها عنه، وكانوا عنها غافلين: كانوا في تركهم للإيمان بالله والنظر فيه بمنزلة الغافلين، والتغافل: تعمّد الغفلة"[2]، فكانت الكلمة في سياقها لا تحتمل غيرها من مثل: ساهون، أو ضالّون، وذلك لأنّه تبين أن الغفل يحمل دلالة لا تحملها كلمة غيرها، بتعمّد المغفل لعقوق الوالدين والعصيان اللذين أوجبا له النار.

---

[1] : روح المعاني ١١٨/٩

[2] : لسان العرب ٤٩٨/١١–٤٩٩

فتخلص إلى أن الغافلين يتصفون بـ:



أمّا التركيب النحوي لهذه الآية فينطلق من الجملة النوّاة:

ذرأ الله الجنّ والإنس

ف + فا + م.به

وليفيد تحقيق الفعل أراد المتكلم تأكيده بـ(قد)، ولمنع تعميم الأمر على الجنّ والإنس كلّهم أضاف الصفة (غافلون)، ولأنّ السياق خطاب من الله والله يتصف بالرحمة على عباده لم يذكر اللفظ وجاء بالضمير، وليؤكد أنّ هناك كثيرا من الخلق غافلون وصفهم المتكلم بـ(كثير)، والسياق سياق ردع وزجر وترهيب والأمر عظيم قدّم العاقبة على المستحقين لها، فقدّم (جهنّم)على الجنّ والإنس، وثمّ بيّن صفاتهم التي يستحقون العذاب لأجلها.

والتفت للعاقبة التي استحقوها؛ إنها(جهنّم)، ولم يذكر النار أو سوء المصير أو سقر أو غيرها من أسماء ودرجات العذاب، وذلك لأنّ جهنّم تعني: "القعر البعيد، وبئر جهنّم: بعيد القعر"[1]، فكانت من الدركات السفلية في النار التي تمتاز بشدّة حرّها وعذابها، والنار

---

[1] : لسان العرب ١١٢/١٢

هي الأعمّ وجهنّم مرتبة سفلية فيها، ثمّ إنّ الجنّ خلقوا من النار التي بيّنّا سابقا صفاتها ونوعها، فكيف يكون عذابهم نارًا خفيفة بالنسبة لما خلقوا منه فكانت جهنّم هي الدرك الأسفل الذي تشتدّ فيه الحرارة ويستحقّها الغافلون.

ذُكر الجنّ والإنس في قصة نبي الله سليمان – عليه السلام–، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ النمل: ١٧، فقد ورث نبي الله سليمان ملكًا عظيمًا، وذكر المفسرون أن من ملكه أن الله وهبه قوّة من قوى النبوّة، يدرك بها أحوال الأرواح والمجردات كما يُدرك منطق الطير ولغة النمل، وقد وهب الله –تعالى– هذه القوّة محمدًا –صلى الله عليه وسلم–، فصرف إليه نفرًا من الجنّ يستمعون القرآن، وسأل سليمان ربه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه، وعرض الله ذلك المُلك على محمد –صلى الله عليه وسلم– فأمسك عن التصرف بالملك إكرامًا لأخيه سليمان –عليه السلام–[1].

فبذلك رفض النبي الأعظم رتبة الملك وتنازل عنها لأخيه، لتكون النبوّة لمحمد –صلى الله عليه وسلم– أعلى منزلة عنده من أن يكون ملكًا، ولأن رسالته سيكون إيصالها أشدّ صعوبةً بين رسائل الأنبياء السابقين، لأنه أُرسل للإنس والجنّ كافة على اختلاف لغاتهم وأطباعهم وزمانهم، ولأن لكل نبي معجزاته، وكلها ذهبت بوفاتهم، في حين أن معجزة محمد –صلى الله عليه وسلم– قائمة لا تنتهي وهي القرآن الكريم.

[1] : انظر: التحرير والتنوير ٢٣٩/٢٠

تبدأ الآية بالفعل الماضي الذي لم يسمّ فاعله (حُشر)، ويحمل الفعل دلالة في معناه "الحشر لغة: الجمع والجلاء من الأوطان"[١]، وهذه القدرة لا يملكها إلا الله، فيجمع الجنّ والإنس والطير كافة من كل البلاد لإمرة سليمان –عليه السلام–، وهذه المواقف التعجيزية التي تظهر فيها الخصوصية للموقف والمشهد وصاحبه، تستلزم سياقا خاصا ونسيجا لغويا له دلالته، فهذا التسخير في (حُشِرَ) و (يُوزَعُونَ) لا ينبغي لأحد من البشر سوى نبِيّ الله سليمان –عليه السلام –وهو تسخير يأتيه من قبل الله عز وجل لا طاقة له به، فهو قوة غيبية مصدرها المباشر من الله تعالى، وجاء عند البلاغيين أنّ السبب في حذف الفاعل أو عدم ذكره أسباب، منها ما ذكره السيوطي[٢] من أغراض للاختصار أو التنبيه على أن الزمان يتقاصر –يقلّ– عن الإتيان بالمحذوف أو أن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت ذكره، وهذه الأغراض ليست عامّة وإنما تجد غيرها من مثل المعرفة بالفاعل، أو لتعظيمه، أو تحقيره، أو ما يجعل المشهد الغيبي –الذي يحاول العقل تصوّره– أكثر بعدًا وعمقًا.

وقوله (جنود) يعني: "الأعوان والأنصار وكل صنف على صفة من الخلق جند على حدة"[٣]، فلم يقل جند بل جنود لأن الأصناف المحشورة يومئذ مختلفة، وهذه الأصناف ثلاثة: الجنّ الذي يمتاز بالسرعة والخفاء، والإنس الذي يمتاز بالعقل والجسد المادّي والقوّي، والطير الذي يمتاز بالسرعة والتنقل دون تعثر، وتوجيه الرسائل في الحروب والمواجهات، ويظهر ذلك في قصة سليمان –عليه السلام– مع ملكة سبأ، بالإضافة إلى أنها "لا تعيي

---

[١] : لسان العرب ١٩١/٤

[٢] : انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ١٧٠/٣

[٣] : لسان العرب ١٣٢/٣

بعقلها إلاّ ما تهتدي به لأغراضها، ووجود ذلك اليوم فيها وكذا في غيرها من سائر الحيوانات، ولا يمكن القول إن عقولها من حيث هي كعقول الإنسان"[١]، ويروى[٢] أن الخيل من جيش سليمان إلاّ أنها لم تذكر وذُكر الجن والإنس والطير لغرابة كونهم من الجنود.

أمّا الترتيب في تقديم الجنّ على الإنس ثمّ الطير فله دلالته الخاصّة، فيقول الألوسي في ذلك: " تقديم الجنّ للمسارعة في الإيذان بكمال قوّة ملكه –عليه السلام– وعزّة سلطانه من أوّل الأمر؛ لأن الجنّ طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة عن الحشر والتسخير، ولم يقدّم الطير على الإنس مع أن تسخيرها أشق، وأدّل على قوّة الملك وسلطانه؛ لئلا يفصل بين الجن والإنس المتقابلين والمشتركين في كثير من الأحكام"[٣]، وكلّ هذا يدل على نظام في الحشر، وهنا تجد وجهة نظر ثاقبة؛ إذ إن الأمر فيه نوع من التناسق بين المذكورين؛ فالجنّ الذين يمتازون بالسرعة والتستر يسيرون في مقدمة الجيش ليتمكن من وراءهم من الإنس من السير بالسرعة نفسها التي يسير عليها المتقدمون، ولأنهم الأقوى وفيهم القدرة على رؤية الإنس والإنس لا تراهم، ولم يفصل بين الجنّ والإنس بالطير لأن الجن والإنس عالمان متقابلان ومتكاملان في كل شيء، وغالبًا ما يُذكر أحدهما عند ذكر الآخر، والطير تغطي السماء وتظل على المتقدمين من الجيش، وأيضًا لو كانت متقدمة على الجن والإنس لشتت الجيشين.

---

[١] : روح المعاني ١٧٤/١٩

[٢] : انظر قصة سليمان في تفسير سورة النمل.

[٣] : روح المعاني ١٧٤/١٩

في قوله: (يوزعون)،معنى: "كف النفس عن هواها، والوازع في الحرب الموكّل بالصفوف يزع من تقدّم منهم بغير أمره، ووزعت الجيش حبست أوّلهم عن آخرهم وفي الحديث أن إبليس رأى جبريل عليه السلام يوم بدر يزع الملائكة أيّ يرتبهم ويسويهم ويصفّهم للحرب كأنه يكفّهم عن الفراق والانتشار"[١]، فيحمل المعنى التفريق والتوزيع والتمييز بين الصفوف والأهم التنظيم.

تتجلّى في هذه الآية عظمة الدولة التي يسوسها سليمان –عليه السلام–، ووجود نظام ضبط، وتعددٌ في الجنسيات والكائنات، واختلاف القدرات لكل منها، ويقال[٢] أنّ معسكر سليمان كان مئة فرسخ في مئة، مقسّمة إلى أرباع، للجنّ الربع، وللإنس الربع، وللطير الربع، وللوحش الربع.

والقول بأن الجنّ والإنس حشروا كلّهم من كل بقاع الأرض ففيه نظر، لأنّ الحادثة التي حدثت مع بلقيس وسليمان –عليه السلام– تدل على أن المحشورين ذاك اليوم هم فئة أو جماعة من الجنّ والإنس لكون بلقيس حكمت قومًا من الإنس.

بهذا تكون (من) للتبعيض وليست لبيان الجنس، ويقوّي هذه الدلالة قوله تعالى:

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ سبأ: ١٢، وهذا يدل على أنّ قسما من الجنّ والإنس محشورون وليس كلّهم.

---

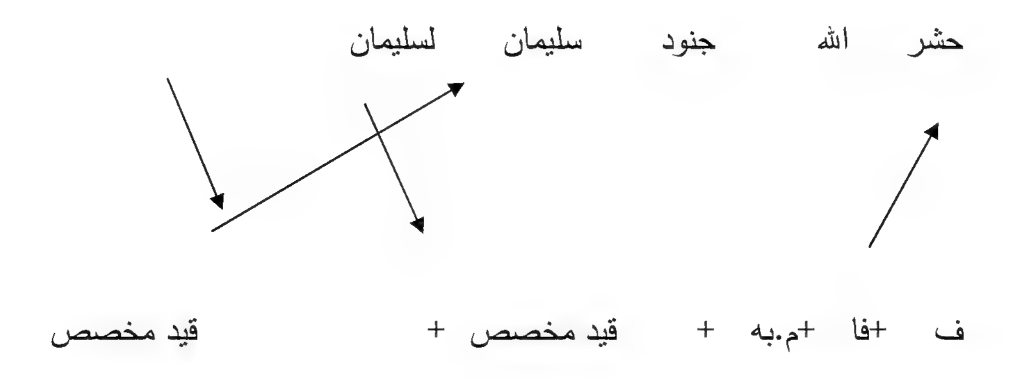
[١] : لسان العرب ٨/٣٩٠

[٢] : انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٦٧

وسبب التسخير جاء في قوله تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ سبأ: ١٣، واستفاض المفسرون في شرح تفاصيل قصّة نبي الله سليمان، والرأي القائل بأنّ : "التسخير فيه عنى التحقير وتقدم الجنّ لتحقيرهم"[١] باطل، لأن من قال بذلك يضع الإنس –المتقدّمة على الطير– موضع التحقير، وكيف يكون التحقير لجنود الأنبياء؟

وحضور الجنّ بيت يدي سليمان رحمة من الله، لا يترتب عليه مفسدة، لأنّه حضور بإذن الله، وهذا التسخير بمرتبة التكليف لهم، ولو خالفوا هذا التكليف لترتب عليه عذاب شديد وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ سبأ: ١٢.

أمّا في التركيب النحوي للآية ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ النمل: ١٧ فتجد أن الجملة النواة هي:

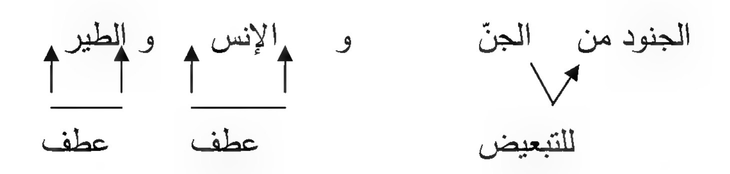


[١] : رأي ذكره الألوسي في روح المعاني ١٩/١٧٤

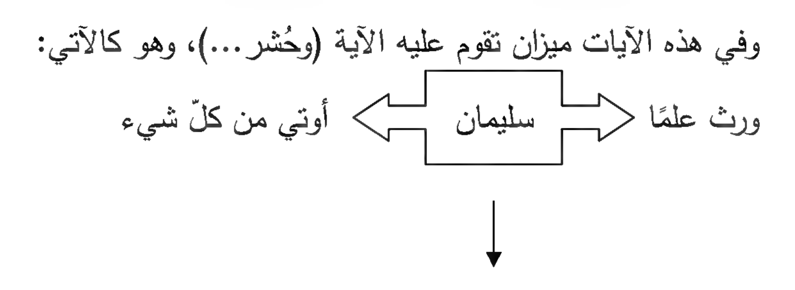
ثمّ كي لا يتكرر الاسم جاء بالضمير: جنود سليمان له، ولأنّ المغزى والحديث عن سليمان قدّمه وأضاف لام الملكيّة التي تبين ملكية سليمان وخصوصية الحشر له، فصارت: حشر الله لسليمان جنوده، ولكون الآيات السابقة جاءت بمشهد بدأ بالفعل المبني للمجهول استكمل جعله مجهولا وأضمر لفظ الجلالة، ولأنّ الحشر كان من أمر الله لملائكته بأن يقوموا بجمع الجن والإنس والطير، حُشر لسليمان جنوده

تقديم للتوكيد ضمير

ثمّ بيّن أنواع الجنود المحشورين لسليمان وربط بينهم ليخبر المتلقي أن هؤلاء الجنود ليسوا جنودًا بترتيب عشوائي وإنّما فيهم مَن عنده القدرة على الترتيب والتنظيم الذي يستوي به الجيش.



وفي هذه الآيات ميزان تقوم عليه الآية (وحُشر...)، وهو كالآتي:



فالعلم يدّل على العقل، وهذا دليل على أنّ من يملك كل شيء من ممتلكات الدنيا وقواها ما لم يُحكّم عقله وعلمه فلن يتمكن من سياسة ما يملكه، فلمّا امتلك سليمان هذا العلم حُشر له الجنود.

في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ فصلت: ٢٩، سبق الكلام على إلقاء الجنّ والإنس اللوم على بعضهم بعضًا في الضلال، وذلك في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾الأعراف: ٣٨، والجديد في الآية الأولى هو قول الكافرين مخاطبين الله –عزّ وجلّ– بأن يمكنهم من رؤية من كان سببًا في ضلالهم، وهذا قد يعطي دلالة أنّ الحشر يكون على ترتيب؛ فقد يتقدّم الجنّ على الإنس في الحشر أو يتقدّم الإنس عليهم وهذه حقيقة غيبية لا نقاش فيها.

وبيّنت الآية عاقبتهم بعد أن لام بعضهم بعضًا، وطلب الكافرون رؤية المضلّين لهم في الدنيا ليحقروهم وذلك في قولهم: (نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ)، والأسفل في اللغة : "من سَفَل، والسُفل نقض العلو، والسفلة: السُّقاط "[1]، ولكن الرازي يقف عند المعنى

[1] : لسان العرب ٣٣٧/١١

ويتفق مع الزجاج في قوله[١]: " ليكونا في الدرك الأسفل من النار"، وهناك بعدٌ فلسفي يضعه الرازي في تفسيره نقلا عن الزجاج فيقول: "قال الزجاج: وكان بعض تلامذتي يميل إلى الحكمة فيقول: المراد بمن يُضلان الشهوة والغضب، تحت أقدام جوهر النفس البشرية"[٢]، فيكون التأول على أنّ من ابتدع الضلال كانت الشهوة أو الغضب تحركانه، واتباع هذا ذاته معصية.

ثمّ إن الوطء بالأقدام هو عادة لبيان الإهانة، وجاء عند العرب قولهم[٣]:

ووطئنا وطأً على صفٍ   وطأ المقيّد نابت الهرم

وهذا يبين أن العرف الاجتماعي يهدف من الوطء بأقدام هو الإهانة، وهذا مغزى الكافرين من طلبهم، وهذا ليشفي غليلهم لما قاموا به من اتباعهم لمن أضلهم.

أمّا قولهم (أرنا) ففيه دلالة تحقيق القول، ويلتفت ابن عاشور[٤] لجزم الفعل (نجعلهما) على أنّه مجزوم في جواب الطلب على تقدير : إن تُرنهما نجعلهما تحت أقدامنا، فيكون كلامه على أنّهم عندما قالوا: (أرنا)، قصدوا التعيين وهذا كناية عن إرادتهم للانتقام.

وتحمل الآية دلالة أُثبتت في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾الأنعام: ١١٢، وقوله : ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

---

[١] : انظر: مفاتيح الغيب ١٤ /١٠٥

[٢] : مفاتيح الغيب ١٤/١٠٥

[٣] :البيت موجود في تفسير التحرير والتنوير ٢٥/٢٨١ ولم أجد نسبة الشاعر

[٤] : انظر: التحرير والتنوير ٢٥/٢٨١

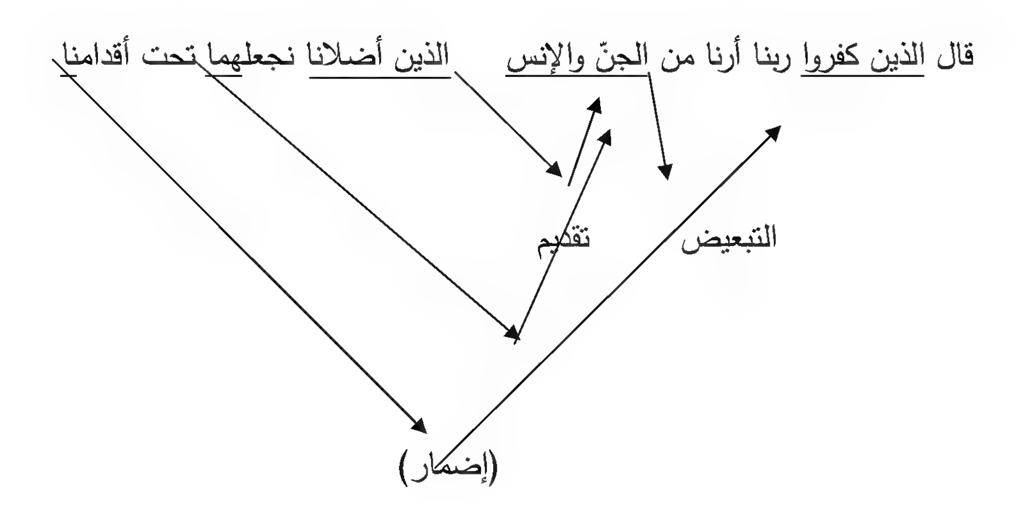
﴾ الناس: ٦، وهي أن الشيطان على نوعين: إنسي وجنّي، وبيّنَهما في مشهد الحشر يوم القيامة في الآية السابقة في سورة فصلت (٢٩).

والضلالة في اللغة: "ضدّ الهدى، وأضل فلان: إذا وجهه إلى الضلال، وضل: خفي وغاب"[١]، وقولهم (الذين) فيه معنى التجريم لمن يفعل هذا الفعل من سنّ الضلال ضمن هذا السياق.

والتركيب مكوّن من الجملة الأساس النواة التي تعطي معنى يحسن السكوت عليه هي: (الجنّ والإنس أضلا الكافرين)، وهذا في سياق الإخبار، أمّا عندما صار السياق على لسان الكفّار أنفسهم صار فيه حذف للاسم الظاهر واستبدل به الضمير –لبيان أنهم المتكلمون– فقال: أضلانا، وتحوّلت الجملة إلى : (أرنا الجنّ والإنس الذَيّن أضلانا)، ولكون الإنس والجنّ منهم المؤمنون ومنهم الكافرون ولبيان أنهم كانوا في الضلال أتباعا قدّموا (اللذَيّن) على (الجن والإنس) فصارت: أرنا الّذين أضلانا من الجن والإنس، والخطاب موجّه لله تأدبا منهم وطلبًا للتخفيف عليهم قالوا :ربنا، على سبيل الدعاء

---

[١] : انظر: لسان العرب ٣٩١/١١-٣٩٣



فان تقديم الجنّ على الإنس في هذه الآية لكون الجنّ أكثر إضلالا من الإنس إذ إنّ الجنّ من طبيعتهم الخفاء والتستر فكانوا أكثر دهاءً في الإضلال للإنس، وكون الكافرين هم من الجن والإنس ويجري على لسان الإنس الطلاقة والفصاحة فكان تقديمهم للجن في اللوم ليبتعد اللوم قليلا عن الإنس.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦، جاءت الآية في سياق الخلق ولكنه ليس طبيعة خلق المادة وإنما سبب الخلق، فالأصل في كل شيء ينطلق من سبب وجوده، ويتضح من الآية أنّ السبب الأول والأخير لخلق الجنّ والإنس ووجودهما هو العبادة.

وجاء عند الشوكاني أن الآية دخلها التخصيص بالقطع[1]؛ أي أن الإرادة من خلق العاقلين من الجنّ والإنس العبادة ولا تكون إلا للعاقلين غير المجانين، فبذلك تكون مخصصة بفئة العاقلين من الجن والإنس وليس كلّهم، واستدل الشوكاني على رأيه من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ﴾الأعراف: ١٧٩، فلم يكن المراد من خلق الكافرين العبادة وإنما خلقوا لجهنم، وهذا التفسير يضعف أمام قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ الأعراف: ١٧٩ لأنّ الفقه يحتاج العقل والعاقل هنا لم يفكر بعقله فضلّ عن العبادة، وهذا لا يجعل دخول الجنّة أو النار إلا نتيجة ما أراده الإنسان.

ولم يذكر الملائكة التي خُلقت للعبادة، وذلك لأن الآيات التي سبقت الآية تبيّن قبح ما يفعله الكافرون من تركهم العبادة، والملائكة لا تترك عبادة الله فكانت الآية مختصّة بالجنّ والإنس، ثمّ إن الكافرين كانوا يتقربون للملائكة ويعبدونها لأنّها تعبد الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ الذاريات: ٥١ وهذا نزولا عند معتقدهم أنّهم لا يصلحون لعبادة الله لنزول درجاتهم، فعقّب عليهم بهذه الآية.

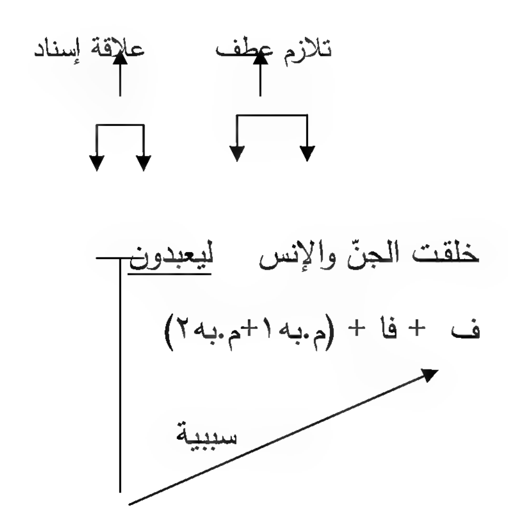
الجملة الأساس النواة التي تمثل أدنى حدٍ من الكلمات التي تعطي معنى يحسن السكوت عليه هي:

خلقت (الجن والإنس)

ف + فا +م.به

[1] : انظر: فتح القدير ٥/٩٢

وهي جملة إخبارية غير أن رب العزّة والجلالة لم يُرد أن ينسب الخلق إليه فحسب بل أن يبين علّة الخلق فصارت:



ولمّا أراد أن يبين لهم أن عبادتهم له لا يشترك معهما فيها شيء آخر ، وبلا تشبهها غاية أخرى أدخل النفي مع (إلا) ليفيد معنى الحصر، وهو التوكيد الذي يحصر ما قبل إلا في ما بعدها.

⇐ وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون

وقدّم الجنّ على الإنس لأنهم كلّفوا بالعبادة قبل الإنس، إذ إنهم خلقوا قبلهم.

وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ الرحمن: ٣٣

جاء في السورة نفسها آية خاطبت الإنس والجن بلفظ (الثقلان)، فيقول تعالى ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ ﴾ الرحمن: ٣١ إلّا أنه عقّب عليها بتحديده لجنس الثقلين وبيانهما وقد يكون ذلك للزيادة التقرير والتأكيد على جنسهما، ويقول أبو حيان[١]: " سميا بذلك لكونهما ثقيلين على وجه الأرض، أو لكونهما متقلين بالذنوب، أو لثقل الإنس، وسمي الجن ثقلا لمجاورته الإنس"، و جاء أن التسمية من ثقل عقلهما وتميزهما[٢]، فتنتفي التسمية من ثقل وزنهما لأن هناك هو أثقل منهما على الأرض.

الخطاب بـ(معشر) يحمل دلالة الجمع، وهذه الآية تخاطب الثقلين بوصفهما جماعة منظمة مؤتلفة، وهذا لأنّ اتحادهما يشكل قوّة عظيمة إلا أنها قوّة تخيب إلا إن كانت إرادة الله هي السلطان في ذلك، ولم يقل (استطعتما) تنويها على "أنهما فريقان في حال الجمع"[٣]، والضمير في الآية على الجمع والمثنى واحد، إلا أن الجمع على أساس مخاطبة " كل فرد

---

[١] : البحر المحيط ١٩٢/٨

[٢] : انظر البحث: الكيلاني، إيمان محمد: ظواهر أسلوبية في سورة الرحمن، منشورات أبحاث اليرموك م٢١، العدد ١،، ص١٢٣، ٢٠٠٣

[٣] : انظر: الجامع ١٦٩/١٧

من الجنّ والإنس"[١]، وقوله (انفذوا) فيه تعجيز لهم، والنفاذ لغة: " الجواز، جواز الشيء والخلوص منه"[٢]، فلن يتمكن الجن والإنس باجتماعهما واتفاقهما عى النفاذ إلى السموات إلا بسلطان، وحدد في قوله (أقطار السموات)، والقطر هو الطبقة.

والجزاء على محاوله النفاذ هو قوله تعالى: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ ﴾ الرحمن: ٣٥، ويقف الدكتور زغلول النجار في سورة الرحمن عند الإشارات الكونية فيها، وعدّ (النفاذ) من الإشارات الكونية، وفسّر الشواظ تفسيرًا علميًا، فيقول في ذلك: " ذلك دلالة قاطعة على أن النفاذ المطلق من أقطار السماوات والأرض التي تبلغ ملايين السنين الضوئية لإنس أو جن مستحيل، والنحاس هو فلز يعتبر من أول العناصر الفلزية التي عرفها الإنسان، ويتميز بأن درجة انصهاره مرتفعة جدا نحو(١٠٨٣ درجة مئوية) فإذا ما صب هذا السائل الملتهب على جسد، مثّل ذلك صنفا من أقسى أنواع العذاب ألما وأشدها أثرا "[٣]، وهذا يؤكد أن اجتماعهما معًا واتفاقهما على التحدي سيعود عليهما بالعذاب.

هذا متفق عليه في (أقطار السماوات) ولكن هل للأرض أقطار؟ فيجيب أستاذ علوم الأرض (زغلول النجار) قائلا: " فعلى الرغم من التطور المذهل في تقنيات حفر الآبار العميقة التي طورها الإنسان بحثا عن النفط والغاز الطبيعي فإن هذه الأجهزة العملاقة لم تستطع حتى اليوم تجاوز عمق١٤ كيلو مترا من الغلاف الصخري للأرض، وهذا

---

[١] : أنظر البحث السابق ١٢٤

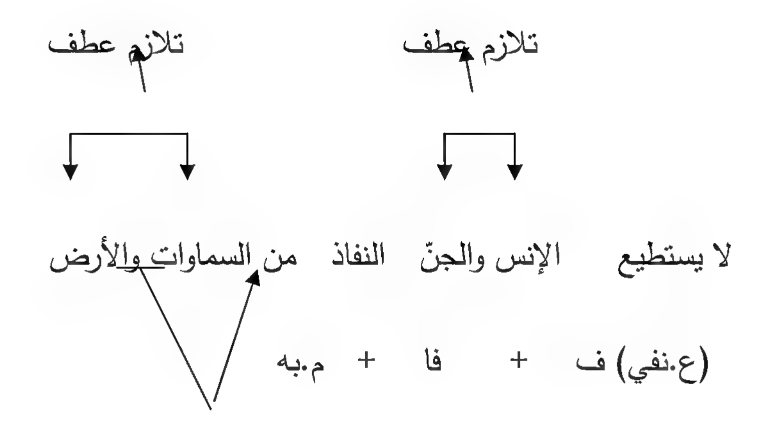
[٢] : لسان العرب ٥١٤/٣

[٣] : انظر :النجار ،زغلول: مجلة قضايا وآراء،فبراير العدد ١٢٦ ، ٢٠٠٢ ، موقع موسوعة الإعجاز العلمي http://quran-m.com

يمثل٠,٢% تقريبا من طول نصف قطر الأرض الاستوائي، وعند هذا العمق تعجز أدوات الحفر عن الاستمرار في عملها لتزايد الضغط وللارتفاع الكبير في درجات الحرارة إلي درجة قد تؤدي إلي صهر تلك الأدوات، فمن الثابت علميا أن درجة الحرارة تزداد باستمرار من سطح الأرض في اتجاه مركزها حتى تصل إلي ما يقرب من درجة حرارة سطح الشمس المقدرة بستة آلاف درجة مئوية حسب بعض التقديرات، ومن هنا كان عجز الإنسان عن الوصول إلى تلك المناطق الفائقة الحرارة والضغط"[١]، فالعلم وصل إلى هذه الحقائق وأثبت إعجاز القرآن العلمي والغيبي.

والتقديم للجن في هذه الآية لأن الجن عندهم القدرة على الصعود بسرعة إلى السماء، ويملكون قدرة استراق السمع، وهذا مالا يستطيعه الإنس، وذكر الإنس في التحدي لأنّ الزمن في تطور مستمر، ووصل الإنسان الآن إلى طبقات عليا في السماء ولكنه لم يتجاوز الطبقة الأولى، تتركب الآية من الجملة النواة:

[١] : انظر المرجع السابق



(قيد مخصص)

ولأن الآيات السابقة تتحدث عن الجن والإنس كانا هما المحور الرئيسي في الآية والمتكلم يريد مخاطبة الجن والإنس وتنبيههم استخدم النداء بالجمع فقال: يامعشر، و(ان +الفعل) أدت معنى نفي حدوث ذلك ولو حاول الجن والإنس فعله.

وذكر الإنس والجن في آيات ثلاث بينهما عنصرا ربط؛ وهي قوله تعالى:﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ﴾ الرحمن: ٣٩، وقوله: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ ﴾ الرحمن: ٥٦ وقوله: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ ﴾ الرحمن: ٧٤، وهذه الآيات لها دلالة مشتركة بالربط بينهما ونفي الفعل عنهما، إلا أنه كان التقديم للإنس على الجن، وتفسير الآيات بالآتي:

١. ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ﴾ الرحمن: ٣٩، قد تظن أن هناك تناقضًا أو اختلافا بين هذا القول وقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ الحجر: ٩٢، إذ إن الاختلاف بينهما في كلمة السؤال؛ فالآية الأولى فيها نفي السؤال عن الذنب خاصة، أمّا الآية الثانية ففيها نفي السؤال عن كل عمل، " فالسؤال المنفي في بعض الآيات هو سؤال الاستخبار والاستعلام"[١]، وهذا لأنهم سيخبرون الله بذنوبهم ويعترفون بها، إلا أن السؤال هنا: لماذا تقدّم الإنس على الجن؟، فتكون الإجابة لأن الإنس عُرف عنهم الكلام والفصاحة فيه، فكان السؤال يبدأ بهم لما يمتلكونه من قدرة على الكلام.

٢. لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ، تكررت الآية في السورة نفسها في سياق تكريم المؤمنين بالحور العين، وكانت هذه الحور لم يطمثهن إنس ولا جان، وهذا يدل على أن للجن حوريات من الجن كما للإنس ذلك، وهذا لإضافة الحُسن لهن وإضافة كونهم أبكارا، والطمث لغة: "طمثت المرأة إذا حاضت والطمث إذا دُميت بالافتضاض، والطمث: الدم والنكاح"[٢]، فتعني عدم مسّها من جنّي أو إنسي، ولم يقل: يجامعهن لأن الجماع من قضاء شهوات الدنيا وفيه تصريح بقبح لا يليق بالحور العين، وهؤلاء الحور من الجنّة لم يشتهيهن أي إنسي أو جنّي، وتقديم الإنس على الجن لما يُعرف عن الإنس من صفات الشهوة وحب النساء، وهنا كان الأنسب لتبرئة الحور من قضاء الإنس لهن طمثًا أو قضاء شهوتهم فيهن.

[١] :أضواء البيان ٥٠٤/٧

[٢] : لسان العرب ١٦٥/٢

وقوله (قبلهم) ليؤكد أكثر على عذرية هؤلاء الحور، وتأكيد على أنهن لم يطمثهن لا مؤمن ولا كافر، فالضمير (هم) يعود على المؤمنين، فنفى بذلك الطمث عنهن.

وقد لا تجد عدولا بالنسبة للنص في هذه الآيات لما تحمله من دلالة حتمية وإخبارًا بغيبيات يجهلها الإنس والجنّ، إلا أنك تجد فيها عنصر توكيد (لم) الذي ينفي الماضي والمستقبل، وهذا يقوّي الكلام لقوّة السياق.

الفصل الثاني:

(ذكر "الجنّ" دون ذكر "الإنس")

ذكر "الجنّ" دون ذكر "الإنس"

الآيات التي ذُكر فيها لفظ الجنّ دون ذكر لفظ الإنس:

مما لا خلاف فيه بين علماء الدين والمفسّرين أنّ الجنّ قد خُلقوا قبل الإنس، واستدل العلماء على ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الحجر: ٢٥ - ٢٧، وعلى هذا الأساس تمّ تفسير تقديم لفظ الجنّ على الإنس في بعض الآيات بأن سببه الأقدمية في الخلق والوجود، وهذا تفسيرٌ قال فيه معظم المفسرين و ستتبين آراؤهم في الصفحات التالية.

وفي ذكر الله تعالى للجن وخلقهم يقول: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الحجر: ٢٧وقوله: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾ الرحمن: ١٥ ، ووقف المفسرون هنا في هذه الآيات باحثين عن أصل خلق الجن وماهيّة الخلق، وأثبت للمنكرين بوجود الجن قوله تعالى في هاتين الآيتين، والجنّ مخلوقٌ وهذا من دلائل القدرة على تنوع الخلق واختلاف صفاتهم.

خُلق الجنّ ﴿ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ و ﴿ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ ، فيقول الألوسي[١] في تفسير هذا الخلق: "نار السَمومِ: الريح الحارّة التي تقتل، وأكثر ما تهب في النهار وقد تهب ليلا، وقيل السموم نار لا دخان لها"، ويقف عند سبب التسمية قائلًا: "سُميت سَمومًا لأنها بلطفها تنفذ

---

[١] : روح المعاني ١٤/٣٤

في مسام البدن ومنه السمّ القاتل"[1]، ويضيف الرازي على هذا القول: "هي الخُروق الخفيفة التي تكون في جلد الإنسان ويبرز منها عرقه وبخاره"[2]، وبالعودة لمعاجم اللغة تجد في القاموس المحيط تحت الجذر(سمم) قوله: " السمم هو الثقب، وهذا القاتل المعروف وجمعها السَموم والسُموم وسِمام، والسَموم: الريح الحارّة تكون غالبًا بالنهار وجمعها سمائم"[3]، ففي الآراء لا خلاف أنّ هذه النار نارٌ خفيفة وقد تكون شبيهة بالأبخرة المتصاعدة، وهذا يدل على أنّا ليست نارًا عادية مثل التي تُوقد من المحروقات أو المواد المشتعلة مثل الغاز، وكأنّ الأشبه لها هو الضوء أو صعقة الكهرباء، فهي نار لا دخان لها، وهذا لا ينفي أنهم خُلقوا من نار لقوله تعالى: ﴿ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ وحتى تتبين طبيعة هذا الخلق انظر لقوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾ الرحمن: ١٥ فالمارج كلمة تختلف عن السموم إلّا أن كلتيهما نار، فيقول الطبري عن المارج: "المارج ما اختلط بعضه ببعض بين أحمر وأصفر وأخضر، من قولهم: مَرَج أمر القوم: إذا اختلط، وقول النبي لعبد الله بن عمرو بن العاص: كيف بك إذا كنت في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم"[4]، أيّ: اختلطت، ويذكر القرطبي تفسيرًا للمارج عن ابن عباس فيقول فيه: "المارج: اللهب الذي يعلو النار فيختلط بعضه ببعض"[5] ،والمارج في اللغة من الجذر (مرج) ويعني: " المرج الفضاء،

---

[1] :المرجع السابق

[2] : مفاتيح الغيب ١٨٠/١٩

[3] :القاموس المحيط ١٠٣٦-١٠٣٧

[4] : الطبري١٢٦/٢٧ والحديث أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ١٦٢/٢

[5] : الجامع ١٦١/١٧

وقيل: أرض ذات كلأ ترعى فيها الدواب، وخلق الجان من مارج من نار يعني الخلط، وقيل معناه: الشعلة وقيل المارج اللهب المختلط بسواد النار"[١].

وهذا لا يخالف ما جاء في السموم، فنار السموم نافذة في المسام نتيجة اللهب أو لسان اللهب في طرف النار وهو شديد الحرارة فيكون سريع النفاذ، فاجتمع معنى السموم مع معنى المارج.

ثمّ إثبات حرف الجر في قوله : من قبل، له دلالة فـ "عبر عن تقليل زمان سبق خلقه وتقريبه بإثبات الجار فقال : (من قبل) أي قبل خلق الإنسان"[٢]، وكأنه يقول إنّ حرف الجر (من) دلّ على قرب خلق الإنس من خلق الجن؛ فالمدّة الفاصلة بين الخلقين مدّة قصيرة.

ويؤيد البغوي ما وصل إليه البحث من أنّ هذه النار هي نار صواعق فيقول: نار الصواعق بين السماء وبين الحجاب، فإذا أحدث الله أمرًا خرقت الحجاب فهوت إلى ما أُمرت به"[٣].

ويتجه ابن عاشور لتفسير خلق الجن من السموم علميًا فيقول: " السَموم الريح الحارّة، فالجنّ مخلوق من الناريّة والهوائيّة ليحصل الاعتدال في الحرارة فيقبل الحياة الخاصّة الّائقة

---

[١] : لسان العرب ١٤/ ٤٨

[٢] : البقاعي:إبراهيم بن عمر٨٨٥هـ : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية بيروت، ج٤ ص٢٢٠

[٣] : البغوي ٤/٣٨٠

بخلق الجنّ والحكمة كلّها من اتقان المزج والتركيب"[1]، انظر لهذا القول؛ تجد أن النار تحترق بوجود الهواء، واختلاط الريح الحارّة(السموم) يشكل مادّة خلق الله منها هذا المخلوق، وهذه الماهيّة لها خصائص يترتب عليها قدرات للجن لا يقدرها غيرهم من المخلوقات من نفاذ وسرعة.، وهذا ما قال به الشعراوي في قوله: " وهكذا نعلم أنّ قانون خلق الجن من عنصر النار التي لا لهب لها يوضح أنّ له قدرات تختلف عن قدرات الإنسان؛ ذلك أنّ مهمته في الحياة تختلف عن مهمة الإنسان، ولا تضع له خيّرية أو أفضليّة؛ لأنّ المهام حين تتعدد في الأشياء تمنع المقارنة بين الكائنات"[2].

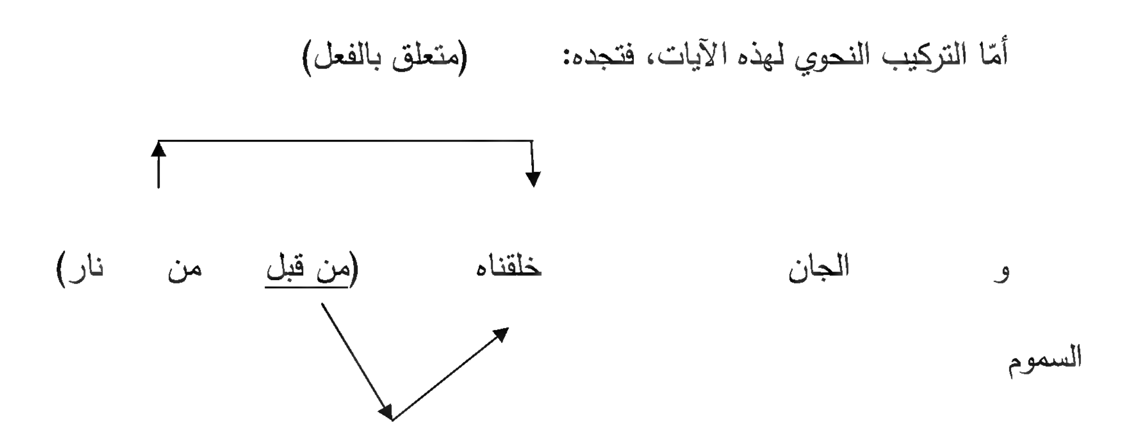
أمّا إذا نظرتَ إلى السياق العام للآيات فتجد في قوله :﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الحجر: ٢٣ - ٢٧ بيان لدلائل التوحيد، فيقول الرازي في هذا: " وهذا هو النوع السابع من دلائل التوحيد فإنه تعالى لمّا استدل بتخليق الحيوانات على صحة التوحيد في الآية المتقدمة أردفه بالاستدلال بتخليق الجن والإنسان على هذا المطلوب"[3]، فلو نظرت إلى الآيات السابقة لوجدت آيات الحياة والموت، والمتقدمين والمتأخرين، ثم الحشر، ويلي ذلك كله أول الحوادث حدوثًا وهو الخلق.

[1] :التحرير والتنوير ٤٤/١٥

[2] :الشعراوي، متولّي: خواطري حول القرآن الكريم ط١، ١٩٩١، أخبار اليوم للنشر م١٢ ص ٧٦٩١

[3] : مفاتيح الغيب ١٧٨/١٥

أمّا التركيب النحوي لهذه الآيات، فتجده: (متعلق بالفعل)



استئناف+ م.به لفعل محذوف+ (ف+فا+م.به)+ (جار ومجرور) + ع.إضافة

(دلالة الزمن)

تجد أنّ الحرفين تعلقا بفعل واحد، وحرف الجر في الأصل يتعلق بفعل واحد أو بشبه الفعل أومعناه[1]، وهذا لأن الخلق يتضمن زمانًا (من قبل) ونوعًا (من نار السموم).

"وعطف جملة (والجان) إدماج وتمهيد إلى بيان نشأة العداوة بين آدم وجند إبليس، وأكدت جملة(وخلقناه) بصيغة الاشتغال التي هي لتقوية الفعل بتقدير نظير المحذوف، ولما فيها من الاهتمام بالإجمال ثم التفصيل؛ تنبيهًا على أهمية هذا الخلق"[2]، إذًا هناك محذوف كان في الأصل التوليدي وهو الفعل (خلقنا)، وعلى هذا تكون البنية العميقة للجملة هي: وخلقنا الجان من نار السموم، إلّا أنه تعالى أراد أن يؤكد اختلاف خلق الإنسان عن خلق الجان وينبه على ما يترتب من هذا الاختلاف، أخّر الفعل وقدم المفعول به، وأسند الفعل إلى مفعول ضمير ليُقدّر المتلقي فعلًا سابقًا للجان وهو خلقنا، فأوّله النحاة على أنه

---

[1] : انظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني ، باب متعلق حرف الجر الأصلي

[2] : التحرير والتنوير ٤٣/١٥

الاشتغال، ثم أراد أن يبين الزمن في ترتيب الخلق فقال من قبل، وعلى هذا نتج قول: الجان خلقناه من نار السموم من قبل، ولأنّ السياق كان ببيان خلق الإنسان ثم خلق الجان ذكر سبحانه أنّ الخلق للجان سبق خلق الإنسان مع أنّ الآيات بدأت ببيان خلق الإنسان، فلا يتبادر إلى ذهن المتلقي أن الإنسان خلق قبل الجان.

وقوله (الجان) وليس الجن، يعود إلى أنّ الجان هو: "أبو الجنّ "[1]، أو مثلما يكون اسم الفاعل من جنّ هو جانّ، وهذا على أنّ الجان يستر نفسه عن الإنس فهو فاعل في ستره لنفسه، وهنا تتجه نحو حقيقة معرفية في خلاف بين العلماء- قد لا تكون هذه دلالة أسلوبية إلا أن ذكرها قد يعطي منحى فكري- والخلاف هو: هل إبليس من الجن؟ لقوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٢ ، وهل هم جنس غير الشياطين؟، فتكون الإجابة عند الرازي في قوله: " الأصح أن الشياطين قسم من الجن، فكل من كان مؤمنًا منهم فإنه لا يسمى بالشيطان، وكل من كان منهم كافرًا يسمى بهذا الاسم"[2].

ويثبت هذا القول أنّ الله لم يوضح نوع النار التي خلق منها الشيطان وإبليس، فقد يُرجح هذا أنهما من جنس واحد ومخلوقان من النار ذاتها وهي المارج والسموم.

وللألوسي قول في هذا، فيقول: "قال وهب: إنّ من الجن من يُولد له ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين، ومنهم من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم

---

[1] : روح المعاني ٣٤/١٤

[2] :مفاتيح الغيب ١٨٠/١٥

الشياطين"[١]، وكل هذا لا ينفي حقيقة ما جاء في قوله :﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٢، وقوله تعالى:﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ الكهف: ٥٠ وأنهم مشتركون بصفات كثيرة تجمعهم، ومما سبق بيانه في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ الأنعام: ١١٢في هذا المبحث تفسير لذلك.

أمّا وجود الروح في النار أو الطين؛ فتفسيره متعلق بتفسير الروح، فيقول فيها ابن القيّم: " وعرفها ابن القيم بأنها جسم خفيف حي متحرك علوي نوراني، يسري في جسد الإنسان كما يسري الدهن في العود، وكما تسري النار في الفحم، فما دام هذا الجسد قابلا لهذه الإفاضات ولهذه الإمدادات من هذه الروح، فإن الروح تبقى عامرة لهذا الجسد، فإذا خرب ذلك الجسد ولم يبق محلا لهذه الروح، ولا قابلا للإفاضات منها، ولا للحركات، أذن الله تعالى لخروج هذه الروح من هذا الجسد فبقي هامدا" [٢]، وبأبسط الأقوال يمكن القول إنّ العناصر والمركبات في النار أو الطين تمتزج بنسب معينه لتشكل الهيئة الماديّة، ووجود الروح في الطين الذي يتشكل بالشكل المادي للإنسان واضح، أمّا وجود روح داخل النار.

وفي سياق التسخير جاءت الآيات التالية:

١. ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ النمل: ٣٩

[١] : روح المعاني ٣٤/١٤

[٢] : انظر : الجوزيّة، ابن القيّم محمد بن أبي بكر ٧٥١هـ: الروح، ط١ ،١٩٧٥ ، دار الكتب العلمية – بيروت ص٢٣

٢. ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ سبأ: ١٢

٣. ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ سبأ: ١٤

وهذه الآيات جاءت في قصة سليمان وملكة سبأ، ومنها يُستدل على بعض صفات الجنّ وعدم معرفتهم الغيب.

في قوله ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ النمل ٣٩، بيان لتسخير الجنّ لسليمان، وهنا تفصيل لما جاء في قوله:(وحشر لسليمان)، فلمّا أراد سليمان نشر دين الله والإسلام، جاءه خبر ملكة تملك ملكًا عظيمًا في اليمن، ولكنّها تعبد الشمس، فبدأ بها ناشرًا الدعوة، فبإسلامها يُسلم شعبها الكبير، وهذه القصة تجدها في كتب التفسير وقصص الأنبياء مفصّلة.

في قوله: عِفْريت، قراءات "رُويت عن أبي بكر عِفريت، وقرأ بها أبو رجاء وعيسى الثقفي عِفرِيَة"[١]، وتجدها في اللغة تحت الجذر "عفر" وفي لسان العرب تعني: "العفريت من الرجال النافذ في الأمر المبالغ فيه مع خُبث ودهاء، ورجل عفرين كعفريت، ومن قال: عفرية، فجمعه عفاري كقولهم في جمع طاغوت طواغيت وطواغي، والعفريت من كل

[١] : أنظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٠٣/١٣

شيء:المبالغ، وقال الزمخشري: العِفر والعِفرية والعفريت: القوي المتشيطن الذي يعفر قرينه، والهاء للمبالغة والتاء للإلحاق بقنديل"[١].

وكأنّ تخصيصه لكلمة عفريت دون غيرها لما تحمله الكلمة من دلالة القوّة والمكر والدهاء الذي يتمتع الجنّي المقصود بها، وقد لا يكون فيهما شرّ لأنه يُطوّع مكره في خدمة ملكه وحاكمه، فلم يقل: واحد من الجنّ أو جنّي أو ماكر أو قوي أو أي كلمة بديلة؛ فكانت "عفريت" في موقعها المناسب لتأدية الدلالة المرجوّة؛ فهي تبيّن نوع الجنّي الذي بدأ بأولى محاولات جلب العرش لسليمان وإثبات قوّته وأمانته، ودلالة القوّة في هذه الكلمة توافق وتنسجم مع قوله" إنّي عليه لقوي أمين ويُقال إنّ اسم هذا العفريت "ذكوان أو صخر الجنّي"[٢].

وفي قوله: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ النمل: ٣٨، دلائل على أنّ طلب سيدنا سليمان لعرش بلقيس ما كان ليثبت أنه ملك فقط، وإنّما ليبين لبلقيس نبوته وقدرته التي فضّله الله بها على غيره من الملوك والبشر، فطلب العرش وأن يُنكر ويُغير ثم يُعرض عليها، وهذا لاختبار عقلها، وقيل: " إنّ الشياطين أخبرت سليمان بأنّ في عقلها شيئًا فأراد أن يمتحنها"[٣]، أمّا في قول العفريت عندما حدّد الزمن لإتيانه بالعرش؛ يقول الرازي: "المراد مجلس الحُكم بين الناس، وقيل الوقت الذي يخطب فيه الناس"[٤]، ويقول الألوسي: "

[١] : لسان العرب٥٨٦/٤

[٢] :روح المعاني ٢٠٢/١٩

[٣] :الجامع لأحكام القرآن ٢٠٧/١٣

[٤] :مفاتيح الغيب ١٩٧/١٢

وكان –عليه السلام– يجلس من الصبح إلى الظهر في كل يوم، وقيل: أيّ قبل أن تستوي من جلوسك"[1].

ويتحمل العفريت في ذلك الأمانة على العرش وما فيه، وهو قويّ على حمله والإتيان به بسرعة، وكل ذلك يتناسب مع قوله تعالى: عفريت.

وانظر لصوت العين الذي ابتدأت به الكلمة، وهو من الحروف القويّة، والراء في هذه الكلمة لها دلالة القوّة أيضًا، " فالراء حرف قويّ للتكرير الذي فيه ولأنه حرف مجهور"[2] ، فهذا أعطى القوّة للكلمة.

وتلا هذه الآية قوله: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ النمل: ٤٠

فكان هناك من يملك علمًا ولكن لم يحدد جنسه إن كان جنّيا أو إنسيا، فقدرته تفوق قدرة الجنّي المتكلم سابقًا، واختلف المفسرون في شخص هذا القائل، فقيل إنه جنّي، وقيل إنه إنسي يسمى آصف بن برخيا[3]، ويُرجح الرازي رأيًا مختلفًا فيقول: "بل هو سليمان

---

[1] :روح المعاني ٢٠٢/١٩

[2] : القيسي، مكي بن أبي طالب(٤٣٧هـ): الرعاية لتجويد القراءة،تحقيق:أحمد فرحات، ط٣، ١٩٩٦،دار عمّار – الأردن ص١٩٥

[3] : انظر: مفاتيح الغيب ١٩٧/١٢

نفسه، والمخاطب هو العفريت الذي كلّمه، وأراد –عليه السلام– إظهار معجزة، فتحداهم أولًا ثمّ بيّن للعفريت أنه يتأتّى له من سرعة الإتيان مالا يتهيأ للعفريت"[١] .

قد تجد أنّ كلمة عفريت تحمل دلالة القوّة وثمّ تأكّدت هذه القوّة بقوله: (لقويّ)، فالقوّة تعطي المتلقي شعورًا بأنّه أكثر من قادر، فهذه المؤكدات –التي وثق الجنّي العفريت بنفسه فقال بها– زالت بقول المتكلم صاحب العلم عندما قال: ﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾النمل: ٤٠ ، وعلى هذه الأقوال يترجحُ أن يكون الذي عنده من علم الكتاب أحدٌ أقوى من الجن والعفاريت، أحدٌ ما يمتلك قدرة تفوق قدرة جيش سليمان، وذلك لقوله: ﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ النمل: ٤٠ فالمراد من الطَرف "تحريك الأجفان وفتحها للنظر وارتدادها انضمامها"[٢].

ووجهة النظر العلميّة التي يُبيّنها الرازي في الطرف وارتداده مقنعة، فيقول: "الطرف تحريك الأجفان عند النظر، فإذا فتحت الجفن فقد يتوهم أن نور العين امتد إلى المَرئيّ، وإذا أغمضت الجفن فقد يتوهم أن ذلك النور ارتد إلى العين"[٣]، فكأنه يقول إنه ينقل العرش بسرعة النور الذي تصدره الأشياء والمجسمات إلى العين، ولعل التفسير لقوله : ﭽ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي ﭼ النمل: ٤٠ أنه ينقله بواسطة تحريك عينه.

ثمّ انظر لقوله: (آتيك)، تجد أنّها ترددت في هذه القصّة بين سليمان والملكة إحدى عشرة مرة، مقابل كلمة (جاء) التي وردت ثلاث مرات، فلو نظرت للفعل (أتى) والفعل (جاء)

---

[١] : مفاتيح الغيب ١٩٧/١٢

[٢] : فتح القدير ١٣٩/٤

[٣] ٨: مفاتيح الغيب ١٩٨/٢٤

لوجدت أنه شاع على الألسن ترادفهما- هذا إذا صحّ القول بالترادف في اللغة-، إلّا أنها وُجدت في المكان المناسب لها،فتحليل الفعل أتى في هذه القصة ينتج عنه ما يلي:

الجدول رقم (١): الفعل (أتى)

الرقم	الآية	الفعل	الفاعل		*المفعول به*	
١	١٨	أتوا	واو الجماعة	قـــوم سليمان	وادي النمل	وادي النمل
٢	٢١	يأتيني	ضميرمستتر	الهدهد	الياء	سليمان
٣	٢٣	أوتيت	الفاعل مبني للمجهول	الله	ضـــمير مستتر	بلقيس
٤	٣١	وأتوني	الواو	قـــوم بلقيس	الياء	سليمان
٥	٣٦	آتانيِ	الله	الله	الياء	سليمان
٦	٣٦	آتاكم	ضميرمستتر	الله	ضميرمتصل	قوم بلقيس
٧	٣٧	نأتينّهم	ضميرمستتر	سليمان	هم	قوم بلقيس
٨	٣٨	يأتيني	ضـــمير مستتر	الملأ	الياء	سليمان
٩	٣٨	يأتوني	الواو	قـــوم بلقيس	الياء	سليمان

١٠	٣٩	آتيك	ضمير مستتر	عفريت الجنّ	الكاف	سليمان
١١	٤٠	آتيك	ضمير مستتر	الذي عند علم	الكاف	سليمان
١٢	٤٢	أوتينا	ضمير مستتر	الله	نا	سليمان

ومن هذا التقسيم تخلُص إلى إن الفعل أتى أُسند إلى المفعول به في الآيات السابقة ثماني مرات أي ما نسبته ٦٦% ، وهذا يدل على أنّ سليمان–عليه السلام– كان المقصود الأكبر في الإتيان من ربه ومن العالمين –الجن والإنس–، وهذا يدل على أنه فُضِّل في كل شيء ويُثبت ذلك قوله ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٥ ﴾ النمل: ١٥، ثمّ لو نظرت إلى الدلالة للفعل أتى والفعل جاء لوجدت أنّ الإتيان يحمل في معناه دلالة السرعة والخفّة وهو ما يُناسب الحال في كل سياق جاء الفعل فيه، أمّا المجيء يوحي بالقوّة والثِقل وهنا أيضًا ناسب السياق وأدّى الوظيفة؛ فمجيء المرسَلون لسليمان من قوم بلقيس فيه سفر ومشقة، ومجيء الكتاب لبلقيس من سليمان فيه المشقة في السفر، ووصول بلقيس لسليمان كان فيه سفرٌ ومشقة.

والمهم في هذا الاستنتاج هو اقتران الفعل أتى مع عفريت الجنّ أنسب من الفعل جاء، فالجنّ يمتازون بالسرعة وهذا تناسب مع الفعل أتى الذي تجد معناه تحت الجذر (أتى):

"بمعنى: جاء، والأَتو: الاستقامة في السير وبسرعة"[١]، ولكن تجد في ظنّك أنها تحمل معنى الخفة من السير والهدوء من الاستقامة وكل هذا بسرعة لطيفة.

وتسخير الجن لسليمان–عليه السلام– مفروغٌ منه، وتنتقل لقوله: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ سبأ: ١٢ لتجد أنّ الله يبين في هذه الآية تسخير مخلوقات أخرى غير الجن لسليمان، ففي الريح المُسخّرة هنا أقوالٌ عند المفسرين، فيقول البغوي: "أي سير غدو تلك الريح المسخَرة مسيرة شهر، وسير رواحها مسيرة شهر، وكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين"[٢]، هذا على من قرأ بنصب الريح، أمّا من قرأ بالرفع يقول القرطبي في ذلك: "وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (الريحُ) بالرفع على الابتداء والمعنى له تسخير الريح أو بالاستقرار؛ أيّ ولسليمان الريح ثابتة "[٣]، وهذه الأقوال بالرفع والنصب تصبّ في مجرىَ واحد وهو أنّ الريح مطوَّعة لسليمان كيفما شاء سارت، ثمّ إنّ الغدُو والرواح هي أوقات بداية النهار وزواله، وهذه المدّة هي مدّة سير الريح في شهرين، وهذا تكريم لسليمان–عليه السلام– دون غيره. وهذا التسخير جاء ذكره بعد آيات البعث وإنكار الكفار له، واستحلته عندهم، "فأُخبروا بوقوع المستحيل عندهم في العادة ممّا لا يمكنهم إنكاره من تأويب الجبال والطير مع داوود، وإلانة الحديد وتسخير الريح لسليمان–عليه السلام–، وإسالة النحاس له

---

[١] :لسان العرب ١٤/١٣–١٧

[٢] : البغوي ٦/٣٩٠

[٣] :الجامع ١٤/٢٤٢

وتسخير الجنّ له مما شاء من الأعمال الشاقة "[١]، وهذا ما يناسب السياق العام للآيات من تحدّي وإنكار الكافرين للبعث مع تسخير الله لسليمان كل ما تقع يده عليه من سلطة.

﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾سبأ: ١٢أيّ "أذبنا له عين النحاس والقِطر هو النحاس"[٢]، وهذا مما لم يُتح لغيره، ويظهر في الآية "بيان لإبهام"[٣] وكأنه يقول: ومن يعمل بين يديه من الجنّ، فإذا به يُقدّم تفسير(من يعمل بين يديه) على البيان، فالمُبيّن تقدّم على البيان، وذلك "للاهتمام به لغرابته"[٤]، وهذه الجملة عطفٌ على قوله: (وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ)، فالجنّ مُسَخّر من المُسخرين لسليمان، وجاء تفسير ذلك في سورة الإسراء (من الجن والإنس والطير)،﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾ ص: ٣٦ ، وقوله: ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ الأنبياء: ٨١، وكان وصف هذه الريح بـ (عاصفة) و(رخاء)، فكأنه يقول إنها "إذا أرادت الإسراع في السير وصفها بالعاصفة، وإذا أراد اللين سارت بـ(رخاء)"[٥]، وهذا كلّه من المُلك الذي دعا سليمان–عليه السلام– أن يكون له في قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ ص: ٣٥، والتفت لقوله :الريح وعدم قوله الرياح؛ تجد أن الريح تحمل في طيّاتها دلالة مختلفة فتحمل معنى "الخوف والشرّ والدمار، ولقد سخّر الله لسليمان الريح تقطع به المسافات الشاسعة معدودات، والرخاء

---

[١] : البحر المحيط ٢٦٢/٧

[٢] :انظر: جامع البيان ٤١،٢٤٣، البغوي ٣٩٠/٦

[٣] :التحرير والتنوير١٥٨/٢٣

[٤] :المرجع السابق نفسه

[٥] : التحرير والتنوير ١٢٣/٨١

لغةً: الريح اللّينة، والرخاء سياقًا الانقياد حسب الإرادة والمقصد"[١]، ولو قلت كيف تكون الطير والجنّ لداوود و لسليمان مسخّرة لوجدت الإجابة عند الرازي في قوله: " فقدر الله أن صار الطير لا ينفر من داود بل يستأنس به ويطلبه ، وسليمان لا ينفر من الجن بل يسخره ويستخدمه"[٢] ، ومما يُعلم أنّ الجنّ مخلوق من المخلوقات الخفيّة وهذا يسبب الخوف للإنس لأنهم يخافون المجهول وغير المرئي، وهنا يعطي الرازي لمحة جديدة سمّاها لطيفة فيقول: " وأما القطر والحديد فتجاذبهما غير خفي(وههنا لطيفة): وهي أن الآدمي ينبغي أن يتقي الجن ويجتنبه، والاجتماع به يفضي إلى المفسدة ولهذا قال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٩٧ - ٩٨، فكيف طلب سليمان الاجتماع بهم ؟ فنقول : قوله تعالى: وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، إشارة إلى أن ذلك الحضور لم يكن فيه مفسدة (ولطيفة أخرى) وهي أن الله تعالى قال ههنا: بِإِذْنِ رَبِّهِۦ بلفظ الرب وقال: وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ولم يقل عن أمر ربه، وذلك لأن الرب لفظ ينبئ عن الرحمة ، فعندما كانت الإشارة إلى حفظ سليمان عليه السلام قال: ربه، وعندما كانت الإشارة إلى تعذيبهم قال : عن أمرنا بلفظ التعظيم الموجب لزيادة الخوف"[٣]، وفي قوله يزغ: " وقرأ الجمهور : يزغ مضارع زاغ ، أي ومن يعدل عن أمرنا الذي أمرناه به من طاعة سليمان

---

[١] : عبد العال، محمد قطب: مقالة(الجمال التصويري بين اللفظ والمعنى)، مجلة الداعي الشهرية،دار العلوم عدد١،ص٢، محرّم١٤٣٢/ديسمبر ٢٠١٠

[٢] : مفاتيح الغيب ١١ /٤٩٩

[٣] : المصدر السابق

وقرئ : يزغ بضم الياء من أزاغ : أي ومن يمل ويصرف نفسه عن أمرنا"[1] فتجد الانسجام بين الكلمات مُشكّلة طريقًا واحدًا أمام المتلقي بتسلسل متناسق، واختياره لكلمة (نُذقه) وليس نعذبه أو نضعه أو نطعمه أو أي كلمة في العمود نفسه من أشكال العذاب لها دلالتها، فالذوق هو حاسة تبدأ من اللسان، وهو فعل إرادي، فالمتذوق شيء يضعه على لسانه ليشعر بطعمه، وكذلك هذا العذاب؛ فمن يخالف أمر الله يكون بطوعه قد اختار العذاب، وهو عذاب السعير وأيّ عذاب أشد منه!

وانظر للتركيب النحوي لهذه الآية لوجدت الأفعال الآتية:

الفعل ← قضينا – دلّهم – تأكل – خرّ – تبيّنت – لبثوا

الفاعل ← (الله) – (الجنّ) – (دابة الأرض)–(سليمان)– (الجنّ) – (الجن)

هذه الأفعال ماضية إلا الفعل(تأكل) الذي أُسند لدابة الأرض وهذا يدل على تحقق الأمور وإثبات جهل الجن بالغيب، فالفعل المضارع مستمر، والاستمرار يدل عل أنّ الجنّ عندا نظروا إلى سليمان كانت الدابة مازالت تأكل بالعصا، وهذا ليتحقق الأمر في ذهنهم من أم الموت كان قد حلّ منذ زمن طويل وهم لم يعلموا بذلك.

[1] :البحر المحيط ٢٦٣/٧

وفي قوله﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ سبأ: ٤١ في سياق الحشر وأهواله، وفي ذلك اليوم يذكر قوله: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سبأ ٤٠–٤٢، فالله يُقرّ الملائكةَ إن كانوا هم مَن أمر المشركين الذين عبدوا الملائكة أن يعبدوهم، وذلك جاء مشابهًا لقوله: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾في موضوع الإقرار، فترُد الملائكة بتسبيح الله وتنزيهه عن الشرك بأن تَطلب من العباد عبادتهم من دون الله، وتُقرّ الملائكة بأنها تعبد الله وأنّ المشركين ضلّوا السبيل بسبب الجنّ، ويقول ابن كثير: "الشياطين لأنهم هم الذين يُزينون لهم عبادة الأوثان."[١]

والتفت للصورة السابقة في هذا السياق، تجد أن ما جاء للملائكة استكمالٌ لصورة سابقة، "فهي عطفٌ على جملة (ولو ترى)، استكمالًا لتصوير فظاعة حالهم يوم الوعد الذي أنكروه تبعًا لما وُصف من حال المستكبرين منهم والمستضعفين"[٢] ، وكأنّه يضع المشركين موضع فضيحة أمام الخلق كلّهم؛ لتبرأ الملائكة منهم، وموضع الخزي لاتباعهم الجنّ ثمّ

[١] :ابن كثير ٥٢٥/٦
[٢] :التحرير والتنوير ٢٢٢/٢٣

قوله (جميعًا) على وزن (فعيل)، "بمعنى مفعول، أي مجموع، وكُثُر استعماله وصفًا لإفادة شمول"[١].

وقوله (هؤلاء) عائد على المشركين الذين عبدوا الملائكة والجنّ وغير ذلك، "وتقديم المفعول هؤلاء للعناية ورعاية الفاصلة"وانظر كيف يُخاطب المتكلم الملائكة بهذا الاستفهام، فكأنه يقول لهم: أهؤلاء مثلًا كانوا يعبدونكم؟، ولا يريد إجابة عل السؤال وإنما يريد إبطال ما يعبدون من دون الله، " هؤلاء : مبتدأ، وخبره (كانوا يعبدون)، و(إياكم) مفعول (يعبدون) ولما تقدم انفصل، وإنما قدم لأنه أبلغ في الخطاب، ولكون (يعبدون) فاصلة . فلو أتى بالضمير منفصلا، كان التركيب (يعبدونكم) ، ولم تكن فاصلة [٢]"، وهذا مما جرى في العربية من تقديم المعمول على العامل، وقولهم (يعبدون) لا (يعبدونكم) لأن هذا أرفع شأنا لحال الملائكة فلا يليق أن يقال: (يعبدونكم) في حضرة الله.

قالت الملائكة: سبحانك أنت وليّنا، وهذا القول جاء من غير عاطف على ما كان قد سبق من خطاب الله للملائكة، فكان " حكي قول الملائكة بدون عاطف لوقوعه في المحاورة، ولذلك جيء فيه بصيغة الماضي لأن ذلك هو الغالب في الحكاية "[٣]، وسرّ توجيه السؤال للملائكة وليس للكفار؛ لأن السؤال للملائكة سيقود إلى جواب الملائكة الذي تُعلن فيه براءتهم وهذا أوقع على النفوس وأدعى إلى أسَفِهم وجرّهم لقول: سبحانك .

---

[١] :المرجع السابق نفسه ص٢٢٣

[٢] : البحر المحيط٢٨٧/٧

[٣] :التحرير والتنوير٢٢٢/٢٣

ردّ الملائكة على السؤال بتنزيه الله، وأنهم بريئون عن هذا الفعل، فقالو: (بل كانوا) إضراب عن عبادة المشركين لهم وأنّ المسؤول هم الجنّ، فالملائكة لا تأمر ولا تنهى، ولا تَضل عن سبيل الله، وقيل: "صورت لهم الشياطين صور قوم من الجنّ، وقالوا لهم: هذه صور الملائكة فاعبدوها، ويدخلون في جوف الأصنام إذا عُبِدت فيُعبَدون بعبادتهم لها"[١]، وإن تساءلت لماذا خصّ الملائكة دون غيرها مما عبد المشركون، فإنّ البغوي يجيب قائلا: "وإنما خصّ الملائكة بالذكر مع أن بعض الكفار قد عبد غيرهم من الشياطين والأصنام؛ لأنهم أشرف معبودات المشركين"[٢]، وقد تكون الإجابة أنّ الملائكة هي الناطقة من بين ما عبدوا فكان السؤال موجهًا إليها.

الملائكة من عباد الله ومُكلَّفة بالعبادة، لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ النحل ٥٠"فالخوف نوع من التكاليف الشرعية بل هو من أعلى أنواع العبوديّة، كما قال فيهم تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٨ "[٣]، وهم عباد مكرّمون من عند الله لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

---

[١] :البحر المحيط ٢٨٨/٧

[٢] :البغوي ٤٠٤/٦

[٣] : انظر الموسوعة العقدية، الكتاب الثالث:الإيمان بالملائكة www.dorar.net

يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٦ - ٢٩ .

وقد ظنّ المشركون أنهم يعبدون الملائكة التي هي داخل الأصنام وليس الصنم أو التمثال الذي يراه أمامه، ويقول تعالى: (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم).

تجد أن الإنس ذُكروا هنا بـ(المشركين)، ولم يُذكر اللفظ صراحة حتى لا يجمع كل الإنس، فهم فئة من الإنس، ولم يكن ذكر الجن مستترًا بل كان صراحة لأن الجنّ معنيون، فلم تقل الملائكة: (بل كانوا يعبدون هؤلاء)–على أن الموقف والمشهد أمام المتلقي ويستدل على الضمائر من السياق– فالأولى ذكرهم صراحة.

في سياقٍ آخر تجد أنّ الجنّ ذكروا على أنهم شركاء لله أو عُبدوا من دون الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٠، وهذه الآية فيها قراءات[١]، فقوله (الجن) قرئت بالرفع والنصب والجر، وذلك كالآتي:

١. الرفع: قال الكسائي بالرفع على أنها بمعنى (هم الجن).

٢. النصب: أ– على أنّ الجنّ مفعول به أوّل ب– بدل من شركاء للتفسير.

٣. الجر: على أنها مضافة لشركاء للبيان.

---

[١] : انظر: فتح القدير ١٤٧/٢

وهذه القراءات لا نفي كون الجنّ كانوا عند بعض الكفّار آلهة تُعبد، وهناك من قال بأنّ المقصود من قوله الجن "الملائكة لاجتنابهم أي استتارهم، وقيل إبليس"[١]، والواضح في هذه الآية هو أنّ هؤلاء الجنّ لم يُميّزوا بصفات معيّنة بل هم (الجن) على تخصيص فئة معيّنة وإلّا لما قال بالتعريف، ولكن لم يحدد هذه الفئة بصفات أو ميزات جعلت الكافرين يشركوهم في عبادتهم لله.

وقوله: جعلوا، عائدة على المشركين الذين أشركوا بالله ولم يستدلوا على براهين الله لهم بأنه واحد أحد لا شريك له، وهذا ما ذُكر في الآيات السابقة، وهي "دلائل العالم الأسفل والعالم الأعلى، تدل على ثبوت الألوهية وكمال القدرة والرحمة "[٢].

وهؤلاء الشركاء فيهم أقوال، فمنهم " طائفة عبدة الأصنام"[٣]، وهم الشركاء الذين يعترف الكافرون بأنّ لا قدرة لهم على الخلق ، إلّا أنهم يُقرّون أنّ " المدبر لهذا الكون هي الكواكب، وفئة تقول إنّ خالق الخير الله، وخالق الشرّ الشيطان"[٤].

لهذا جاء قوله: وخلقهم، ليدحض كل هذا الشرك وأنّ الله هو خالق هذه الأشياء التي أشرك الكافرون في عبدتهم لها مع الله، ولم يكتف المشركون في العبادة؛ بل قالوا بأنه له بنينا وبناتا، وكل هذه الأقوال كانت من دون علم منهم ولا تفكير.

---

[١] : المصدر السابق

[٢] :مفاتيح الغيب ١١٢/١٣ وانظر لقوله تعالى: الأنعام الآيات ٩٥-١٠٢

[٣] : انظر: مفاتيح الغيب ١١٣/١٣

[٤] : المصدر السابق

عودة للقراءات؛ تجد قراءة النصب فيها تأويل بأن شركاء مفعول به ثانٍ تقدّم على الجنّ وهم المفعول الأول، وهنا تقول: لماذا لم يقولوا بالمفعولية لشركاء ثمّ للجن؟ وتكون الإجابة عند سيبويه فيقول: "إنهم يقدمون الأهم الذي هم بشأنه أعلى"[١]، فتكون الفائدة من التقديم هنا أنّ جعل شركاء لله هو من الأمر العظيم فسواء كان هؤلاء الشركاء إنسا أو جنّا فالأمر العظيم هو الشرك.

ومن قال بالبدلية لا تجده جانب الصواب، فتقول إن الشرك والجنّ سيصبحان متساويين في المرتبة فجاز كون أحدهما بدلا من الآخر كيف يستوي الكلام؟ ، إلّا إن قلت "إنه أبدل مكانه ما هو أعرف منه"[٢]، (شركاء = الجن) وجدت الكلام صائبًا بالبدلية.

أمّا الجرّ فهو بياني، على تقدير(من) البيانية، فيكون المعنى أنهم شركاء من نوع الجن، فيثبت هنا أنه هناك شركاء من أنواع مختلفة، أشرك بها الكافرون.

وقراءة الرفع فيها تأكيدٌ قد تسميه (خفيّ) فلو قدّرت قوله: شركاء هم الجن، لوجدت أن التفسير فيه تأكيدٌ على الشرك والشرك بالجنّ، ولكن لماذا التقدير على محذوف؟

ثمّ هم(جعلوا) ولم يقل: قالوا أو صنعوا أو غير ذلك؛ لأن الجعل فيه قول وفعل، وهم هنا صنعوا الأصنام، وقالوا إنها آلهة، فناسبت الكلمة مكانها.

أمّا كلمة شرك، فتعني: " أشرك بالله: جعل له شريكًا في ملكه، وأن يجعل لله شريكًا في ربوبيته، والمشركون عبدوا الله وعبدوا معه الشيطان"[١]، ففي الشرك ذنب عظيم، ولم

---

[١] : الكتاب ٣٤/١

[٢] الكتاب ١٤/٢

يكتف الكافرون بالشرك وإطاعتهم للجن "كطاعة الله"[٢]، بل وصفوا الله أوصافًا تعالى عنها، فخرقوا له بنين وبنات، وفي قوله:﴿ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍ ﴾ الأنعام: ١٠٠، يقول المفسرون بأنهم " الملائكة"[٣] أو "الكواكب والأصنام"[٤]، فالمهم هنا بأنهم أشركوا في العبادة والقول، وهذا ما نزه الله به نفسه وتعالى عمّا يصفون.

قوله: وخرقوا، ولم يقل: ووصفوا أو وجعلوا، أو ونسبوا، وذلك لأنّ الخرق يعني: "الشق، الأرض البعيدة، البُعد، الظريف، وخرقوا: افتعلوا ذلك، وخرق الكلمة: ابتدعها"[٥]، وهذه الكلمة تحمل دلالة الاتساع في الشيء، فمعانيها فيها شيء من الاتساع، وانتبه لقوله: خرقوا، فهم ابتدعوا شيئًا غير موجود وصنعوا ما لا يجب صنعه وقوله وتوسعوا في ذلك، فناسبت هذه الكلمة مكانها في التركيب.

وقوله بغير علم، فتتساءل: هل هناك شرك بالله مع علم بقدرة الله ووحدانيته؟، تجد الإجابة بأنهم قالوها "عن جهل خالص"[٦]، وهذا يكون جوابا عن سؤال لهم: هل أشركتم بعلم؟ "ولما لم يكن لقولهم أصلًا حقيقة ولا شبهة، وكان الخرق بغير علم، دل على ذلك مصرحًا بما أفهمه محققًا له تنبيهًا على الدليل القطعي في اجتياح قولهم من أصله، وذلك أنه قول لا حجة له، ومسائل أصول الدين لا يصار إلى شيء منها إلا بقاطع، وذلك بنكرة في سياق

---

[١] :لسان العرب ٤٤٩/١٠

[٢] :الجامع ٥٣/٧

[٣] :انظر: روح المعاني٢٤١/٧

[٤] :مفاتيح الغيب ١١٥/١٣

[٥] :لسان العرب ٧٣/١٠-٧٥

[٦] :فتح القدير ١٤٧/٢

النفي فقال: بغير علم"[١]، وهذا لقوله :علم وليس العلم، فتنكير اللفظ أعطى دلالة حتمية وقاطعة بجهل خالص عند الكافرين، وعدم إعمال فكرهم قبل أن يقولوا ويفتروا على الله.

انظر للتركيب المقطعي[٢] في الآية، تجد أنها قسّمت إلى أربعة مقاطع:

المقطع الأول:جعلوا لله شركاء الجن← الكافرين

المقطع الثاني: خلقهم← الحق (الله)

المقطع الثالث: خرقوا له بنين وبنات بغير علم←الكافرين

المقطع الرابع: سبحانه وتعالى عمّا يصفون← الحق (الله)

فتجد أن الباطل –الشرك– ، والحق– الإيمان– في هذه الآية قد تساوى بالذكر، فالكافرين كان لهم مقطعان من الآية وكذلك الحق؛ إلّا أنك لو نظرت للآية لوجدت كل مقطع خصّ الكافرين تلاه مقطع يدلل على الحق وأنّ الحق دائمًا يظهر ويكون بيّنًا واضحًا.

وتجد في السياق ذاته قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ الصافات: ١٥٨، فالكافرون هنا جعلوا وقالوا بأن لله ولدًا، والفعل (وَجَعَلُوا۟) معطوف على الفعل (يقولون) في قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ الصافات: ١٥١ - ١٥٢، " أي شفعوا قولهم " ولد الله "، فجعلوا بين الله وبين الجن

[١] :الحاوي في تفسير القرآن ص ٦٤٩٢

[٢] : لا يُقصد مقاطع الأصوات وإنما مقاطع البناء التركيبي

نسبا بتلك الولادة، أي بينوا كيف حصلت تلك الولادة بأن جعلوها بين الله تعالى وبين الجنة نسبا "[1]، واختلف المفسرون في تفسير كلمة (الجنّة) فمنهم من قال بأنها الملائكة، ومنهم من قال بأنّ الجنّة هم الشياطين[2]، ومنهم قال بأنها الجنّ أنفسهم وأنّ الجنّة هم الجماعة من الجن[3]، وعلى أرجح الأقوال بأنها الجنّ أنفسهم؛ فالآيات السابقة بينت موقف الملائكة، ولا فائدة من الإعادة لهذا الموقف،" والعطف يقتضي كون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه ، فوجب أن يكون المراد من هذه الآية غير ما تقدم"[4]، ومن قال بأنّهم الشياطين فهم المجوس الذين قالوا بإلهين واحد للخير وواحد للشر، ولا يحتمل السياق العام الشياطين، بل الحديث يدور عن نسبة الولد لله[5].

والجملة النواة التي تولّدت عنها الجملة السابقة هي: جعلوا لله شركاء، وهنا لا تحديد لنوع الشركاء فخصّ المتكلم المخاطبين بأنهم شركاء من الجنّ، وأثبت المتكلم –الله عز وجل– أنّه هو خالقهم وخالق هؤلاء الشركاء، وتوسعوا في افترائهم حتى نسبوا له البنين والبنات.

---

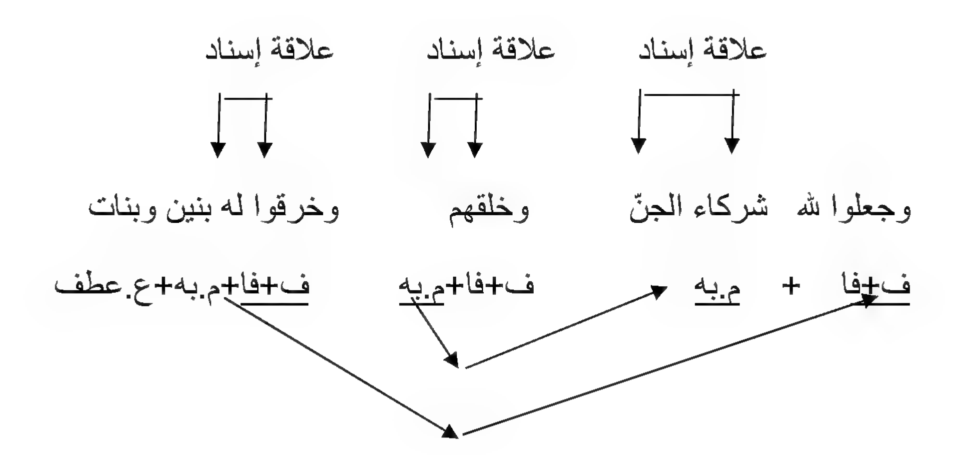
[1] :التحرير والتنوير ١٨٦/٢٤

[2] : انظر: ابن كثير ٤٣/٧ وانظر : الجامع لأحكام القرآن ١٢٤/١٥

[3] : انظر: التحريروالتنوير ١٨٦/٢٤

[4] مفاتيح الغيب ١٣ /١٤٧

[5] : للاستزادة انظر: البحر المحيط ٣٧٩/٧



قف عند قوله تعالى : وجعلوا، وانظر لقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ ﴾ الأنعام١٠٠، لقوله جعلوا دلالة معينة سبق وشرحت في دراسة الأية من الأنعام سابقًا، ولكن الوقفة هنا قوله (لله) ولم يقل في قوله: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾، في الآية الأولى كان السياق عن شراكة الجنّ في الخلق مع الله، والآية الثانية كان سياق نسبة الولد لله، والأمر الأعظم بينهما هو أن يكون شريكا لله فبذلك يكفر العبد، وفي سورة الإخلاص تجد الأمر الأول للعباد هو قوله :﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ الإخلاص: ١ فذُكر لفظ الجلالة في التوحيد وكذلك هنا في الآية الأولى، ثمّ تلاها قوله ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ ﴾ الإخلاص: ٣ فلم يقل :الله لم يلد ولم يولد، لأنّ من

وحد وأخلص في التوحيد انقطع عن القول بالنسب والمزاوجة والوالدية لله، فكان من الأنسب ذكر لفظ الجلالة للتأكيد أكثر في سياق الشراكة، وكذلك القول في قوله (بينه) فكان لفظ الجلالة غائبًا مضمرًا.

أمّا النسب المقصود فمختلف فيها من حيث تفسيرها بالمصاهرة، وللمفسرين آراء يخلص ابن عاشور فيها إلى القول:"فتفسيره النسب بالمصاهرة تفسير بالمعنى وليس المرا د أن النسب يطلق على المصاهرة كما توهمه كثير؛ لأن هذا الإطلاق غير موجود في دواوين اللغة فلا تغترر به"[١]، والنسب في اللغة يعني: "القرابة"[٢]، وحروف هذه الكلمة مجتمعة تعني: "اتصال شيء بشيء"[٣]، ولم يكن هناك معنى لمصاهرة أو حدوث الزواج بهن طريق كلمة النسب، ولكن التأويل جاء من خلال السياق السابق واللاحق للآية.

ولفظ (الجنّة) بالتأنيث جاء في هذه الآيات وفي قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٤، " فتأنيث اللفظ بتأويل الجماعة مثل تأنيث رجلة ، الطائفة من الرجال"[٤]، وقوله (علمت) وليس (علموا)-على تأويل الجماعة- فهذا في العربيّة واسع، ويقول ابن جنّي في هذا: "اعلم انّ هذا الشرْج غور من العربية بعيد ، ومذهب فسيح قد ورد به القرآن الكريم، وفصيح الكلام منثورًا ومنظومًا كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث

---

[١] : التحرير والتنوير ١٨٧/٢٤

[٢] :لسان العرب ٧٥٥/١

[٣] :مقاييس اللغة٤٢٤/٥

[٤] : التحرير والتنوير ١٨٦/٢٤

وتصوير معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في معنى الواحد"[١]، وهنا كان تأويل هذه اللفظة المفردة على الجماعة، وهذا دُرس في اللغة العربية في باب الحمل المزدوج والتناوب والتضمين[٢]، وهذا مما يدل على الحياة في اللغة وتجددها، أمّا قوله: وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ، فهذه الآية كانت جملة معترضة بين قوله:﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ وقوله: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ الصافات: ١٥٩، فالكفار يعلمون أنّهم سيُحضرون إلى النار، والحضور في هذا السياق جاء للتوبيخ والعذاب، فجاءت الصيغة على وزن اسم الفاعل من فعل غير ثلاثي وهو(أحضر) الذي يعني في اللغة: "الحضور نقيض المغيب"[٣]، فهم ليسوا بغائبين عن العذاب الذي يستحقوه لما قالوا به من كفر، وهم يعلمون أنهم سيحضرون العذاب والنار ومع ذلك قالوا ما قالوه من نسب بين الله والجنّ، وهذ الكلمة كانت لها دلالة عند المفسرين، يقول الشوكاني : " الإحضار إذا أطلق فالمراد العذاب"[٤]، وهذا ما يُستنتج من السياق العام للآيات، إلّا أنّ هذه الدلالة لم تجدها الباحثة في المعاجم، وتجد ابن عاشور يقول: " محضرون للعقاب ، بقرينة مقام التوبيخ فإن التوبيخ يتبعه التهديد ، والغالب في فعل الإحضار أن يراد به إحضار سوء"[٥]، وهنا تقف عند هذه الأقوال ناظرًا إلى البدائل الرأسية بين هذه الكلمة وغيرها مثل: المجيء، والإتيان، وغيرها من كلمات تحمل ما يقارب المعنى،

---

[١] : ابن جني، عثمان (٣٢٢-٣٩٢هـ):الخصائص ط٢، ١٩٥٢، المكتبة العلمية- القاهرة ٣٧٢/١

[٢] : انظر :تقرير :الحمل المزدوج في نظام اللغة العربية التناوب والتضمين مثالًا،حسن منديل العكيليwww.allesan.org

[٣] : لسان العرب ١٩٦/٤

[٤] : فتح القدير ١٢٥٣/١

[٥] : التحرير والتنوير ١٨٨/٢٤

وقد يكون سبب الاختيار لهذه الكلمة أنها ما جاءت في القرآن إلّا في سياق العذاب أو سياق الموت وهذا استنتاج تجده بعد قراءة الآيات التي جاءت هذه الكلمة ومشتقاتها في القرآن[١]، وهي: (حضر، يحضرون، محضَرون)إلّ في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُوٓاْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الأحقاف: ٢٩، وهنا يكون للبحث وقفة في سياق الجن المؤمنين.

في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ الأنعام١٢٨، هنا تجد قوله تعالى قد جمع بين الجنّ والإنس في سياق واحد؛ إلّا أنه لم يجمع بينهما برابط عطف، وهنا صُنّفت هذه الآية ضمن الآيات التي تفردت بذكر الجنّ لفظًا.

في سياق الحشر وأهواله والتسخير، تجد الآيات السابقة تُبين حال من سار على الصراط المستقيم، ثم تلاها من اتبع الضلال وسار عليه، وهذا كله يوم الحشر، ولو نظرت لسياق الآيات، لوجدت أنّ الحشر هنا كان سابقًا في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ الأنعام: ١١٢، المحشورون هنا هم (الإنس والجن)، وسبق تحليل هذه الآية.

---

[١] : البقرة١٨٠:١٣٣، النساء ١٨:٨، المائدة ١٠٦، المؤمنون ٩٨، الروم ١٦، سبأ ٣٨، يس ٣٢: ٥٣: ٧٥

يخاطب الله في هذه الآية الجنّ، فيقول لهم: "استكثرتم في دعائكم لهم بالضلال والإغواء حتى صاروا في حكم الأتباع لكم فحشرناهم معكم"[١] ، وتوبيخ الله للإنس لأنهم قبلوا من الجن دعاءهم لهم.

ويقف الرازي هنا وقفة عند قوله : (ربنا استمتع بعضنا ببعض)، فيقول: "أن قولهم استمتع بعضنا ببعض ، المراد منه أنه استمتع الجن بالإنس والإنس بالجن ، وعلى هذا القول قولان: القول الأول : أن معنى هذا الاستمتاع هو أن الرجل كان إذا سافر فأمسى بأرض قفر وخاف على نفسه قال : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ، فيبيت آمنا في نفسه، فهذا استمتاع الإنس بالجن، وأما استمتاع الجن بالإنس فهو أن الإنسي إذا عاذ بالجنّي ، كان ذلك تعظيما منهم للجن، وذلك الجني يقول: قد سدت الجن والإنس؛لأن الإنسي قد اعترف له بأنه يقدر أن يدفع عنه.

والوجه الثاني : في تفسير هذا الاستمتاع : أن الإنس كانوا يطيعون الجن وينقادون لحكمهم فصار الجن كالرؤساء ، والإنس كالأتباع والخادمين المطيعين المنقادين الذين لا يخالفون رئيسهم ومخدومهم في قليل ولا كثير ، ولا شك أن هذا الرئيس قد انتفع بهذا الخادم، فهذا استمتاع الجن بالإنس. وأما استمتاع الإنس بالجن ، فهو أن الجن كانوا يدلونّهم على أنواع الشهوات واللذات والطيبات ويسهلون تلك الأمور عليهم، وهذا القول اختيار"[٢]، واختياره لهذه الكلمة دون غيرها لما تحمله من دلالة خاصة، فالاستمتاع ليس كالمنفعة، ففي البحر

---

[١] : انظر: مفاتيح الغيب ١٩١/١٣، فتح القدير ١٦١/٢

[٢] :انظر: مفاتيح الغيب١٩١/١٣

المحيط يقول الأندلسي : "إن معنى استمتع: نفع"[١]، وقد تكون الدلالة أوسع من المنفعة وحدها، فقد تحققت لذة بين الجن والإنس طويلة وفيها زيادة مبالغة فكانت الكلمة تحمل أكثر من المنفعة فالمتعة لغة من متع وتعني: "الماتع من كل شيء البالغ في الجودة الغاية، والمتاع في الأصل: كل شيء يُنتفع به ويتبلغ به ويُتَزوّد، وأمتع بالشيء وتمتع بع واستمتع: دام له ما يستمده منه"[٢]، فتكون الكلمة قد حملت معاني لا تحملها كلمة أخرى.

وعلى هذا يثبت القول بمشاركة الجن للإنس في الحياة، وأنهم يتعاونون في أمور مختلفة حتى لو كانت تضر بعضهم، وهنا يخرج القول بأنّ الجنّ لا علاقة لهم بالإنس وعلاقتهم هنا تظافريّة.

وتتركب الآية من مقطعين لغويين:

فالأول: يا معشر الجنّ قد استكثرتم من الإنس ← النار مثواكم خالدين فيها.

والثاني:ربنا استمتع بعضنا ببعض ← وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا.

وكل ذلك في سياق الحشر

وهذا السياق يوافق ما جاء في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ الجن: ٦، وكأنه يخاطبهم ويقول لهم ويعيد عليهم هنا ما جاء، وأنّ هذه العلاقة لا تؤول إلى خير لكليهما.

---

[١] : البحر المحيط ٤/٢٢٠

[٢] : انظر: مادة متع، لسان العرب٨/٣٢٩-٣٣١

انظر لقوله "يا معشر"، تجد أنّ هذه الكلمة كانت في خطاب الجنّ دون الإنس وتبيّن هذا في الصفحات السابقة، وقوله: استكثرتم، " أكثرتم من اتخاذهم؛ أي: من جعلهم أتباعا لكم؛ أي: تجاوزتم الحد في استهوائهم واستغوائهم ، فطوعتم منهم كثيرًا جدًا. "[١]، ولكن قوله استكثرتم وليس أكثرتم فيه وجه دلالي، ففي لسان العرب تعني: "كثر: نقيض القلّة، الكثرة نماء العدد، وأكثر :جعله كثيرًا، واستكثر من الشيء: رغب في الكثير منه، وأكثر منه أيضًا، "[٢] :"فالاستكثار هنا أخذ الكثير لا طلبه، كقولهم استكثر الأمير من الجنود، أي أخذ كثيرًا، وفلان من الطعام أي أكل كثيرًا، والمراد أنهم استتبعوهم بسبب إضلالهم إياهم فحشروا معهم؛ لأن المكلفين يحشرون يوم القيامة مع من اتبعوهم في الحق والخير أو في الباطل والشر"[٣]، فتجد الإرادة في هذه الكلمة حاصلة، وصيغة (استفعل) تختلف عن صيغة (أفعل)، فصيغة(استفعل) "للدلالة على الطلب"[٤]، أو "الشيء تصيب منه هيئة ما، ويأتي بمعنى فعلتُ منها، وقد يأتي للتنقل من حال إلى حال"[٥]، وهنا انتقل حلهم من استغنائهم عن الإنس إلى حاجتهم إليهم، فلا يصلح استخدام صيغة (أفعل) التي لا تحمل هذا المعنى المطلوب، ثمّ إن طلبهم للإنس كان كثيرًا فصيغة "استكثر" فيها معنى الكثرة، والزيادة في المبنى هنا هي زيادة في تأكيد المعنى، وانظر للحرف (قد) الذي سبق الفعل؛ فتجد أنه زيادة في تحقيق وتأكيد

---

[١] :التحرير والتنوير ٦٧/٨

[٢] : لسان العرب ١٣١/٥-١٣٢

[٣] :رضا، محمد رشيد: تفسير المنار، ط٢،١٩٤٧،الهيئة المصرية للنشر ، ج٨/ص٥٦

[٤] : الكتاب ٢٣٣/٢

[٥] : ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جني٣٩٢هـ: المنصف في شرح التصنيف للمازني، ط١، ١٩٥٤، دار إحياء التراث القديم ،ج١/ص٧٧

المعنى، وما آل إليه هؤلاء الجنّ إلّا لأنهم طلبوا ما لا يحق لهم وما لا يرضي ربهم وقد نالوا من الله العقوبة لأنهم كانوا ضالّين مضِلّين للإنس ولأنفسهم.

بعد هذا يجيب الإنس ويدافعون عن الجنّ بأن قالوا: رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا، وقصد الإنس بهذا القول اتضح سابقًا وهو إثم اشترك فيه الإنس مع الجنّ فلاقى كلا الفريقين عقابهم قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ، والمثوى هو المستقر النهائي لهم وهو النار، وتجد في قوله: إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ، " المعنى الذي تقتضيه لغة العرب في هذا التركيب أنهم يخلدون في النار في كل الأوقات إلا في الوقت الذي يشاء الله عدم بقائهم فيها "[١]، وهناك أقوال في ذلك، " قيل : أراد إلا قدر مدة ما بين بعثهم إلى دخولهم جهنم ، يعني : هم خالدون في النار إلا هذا المقدار"[٢] وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعائدا على يوم القيامة، " وقيل: خالدين في النار سوى ما شاء الله من أنواع العذاب"[٣]، وعلى هذا يكون الاستثناء عائدا على النار أو العذاب الذي يخلدون فيه، " وقال ابن عباس : الاستثناء لأهل الإيمان فـ (ما) على هذا بمعنى (من)"[٤]، وهذه الآراء تجمع بين العذاب ومقداره ومن يستحقه وفيها كلها وجهات نظر قد تكون صحيحة ولا تخالف لغة العرب.

وهذا المفهوم العام للآية؛ أمّا المفهوم الخاص (السياقي) "أنّ الظلمة من الجنّ يتسلطون على الظلمة من الإنس، وهو المس، ولكن أدقّ التفاسير هو أن ظلمة الجن

---

[١] : فتح القدير ٤٤٩/١

[٢] : البغوي ١٨٩/٣

[٣] : المرجع نفسه

[٤] : الجامع لأحكام القرآن ٧٧/٧

يتسلطون على ظلمة الإنس بما كسبوا وذلك قوله :﴿ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾النساء: ٨٨"[١]، ويؤيد ذلك قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ الأنعام: ١٢٩.

التفت لقوله تعالى : وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ، في حرف العطف الواو قد تظنّ أنّ فيها معنى الجمع والمشاركة، أو أنّ هناك تناوبا بينها وبين الفاء أو ثمّ، ولكن لا أرى فائدة من القول بالتناوب بين الحروف وأنّ هناك مغزى من وجود كلّ حرف في مكانه الأصلي، ولا يعمل أحد الحروف مكان غيره ليؤدي معناه، والواو هنا أفادت قيمة جماليّة خاصّة؛ فالجنّ استعانت بالإنس ليصلوا لمبتغاهم، وردّ الإنس كان بقوله: وقال، لأن الفعل الماضي يفيد التحقيق وهنا يوم الحشر(يحشرهم) فجاء بالواو ليؤكد أنّه سيقع هذا القول منهم وتلاها الفعل الماضي ليقول لهم إنّ هذا أمر واقع لا محالة فبعد الحشر سيقولون هذا القول، ويكملون بقولهم وَبَلَغْنَآ، ليثبت التحقق في الوقوع من محاولة الإنس تبرئة أنفسهم.

ع.زمان+ ف+فا+م.به +ع.نداء+ ف+فا+م.به

يوم (يحشرهم جميعا) يامعشر الجنّ قد استكثرتم من الإنس

(الإنس والجنّ)

---

[١] : موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية الالكترونيةhttp://nabulsi.com

(الإنس والجنّ)

↑

فقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلّت لنا

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ الكهف: ٥٠،هذا القول في الجنّ الكافرين، وقد يظن أحدهم أنّ هذا بعد أن خُلق الإنس، وأنّ هذه الآية مما يدل على أنّ الجن خلقوا قبل الإنس؛ ولكنك تجد المفسرين وضعوا احتمالين للسجود، فقد يكون قوله (اسجدوا) "محتمل أن يكون أمرَهم بذلك قبل وجود آدم أمرًا معلقًا على وجوده ومحتمل أنّه أمرَهم بذلك تنجيزًا بعد وجود آدم"[1]، والشاهد على أنّ السجود كان يعلم به الملائكة وكان محتمًا قبل خلق آدم هو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الحجر: ٢٨ ـ ٢٩

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ ص: ٧١ ـ ٧٢، وهذا لا ينافي أن يكون الأمر بالسجود كان تنجيزًا للأمر وتحقيقًا له.

[1] : أضواء البيان ٣/٢٩٠

وأن يكون من سجد نصف أو بعض أو أن لا يكون قد سجد كل الملائكة فهو أمرٌ نفاه قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ الحجر: ٣٠ – ٣١ وأكد ذلك بقوله (كلهم أجمعون)، والوقفة هنا عند قوله:فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ، فهل يكون إبليس من الجن وخلقه كخلق الجن؟ وهنا تجد أقوالا، فقد يكون إبليس من الجنّ "الذين هم الشياطين، وخُلقوا من نار، وقد يكون الجنّ قبيلة من الملائكة، وقد يكون الجن والملائكة مشتركين في صفة الاستتار فكان إبليس من الجن"[1] ، ويرجح الرازي رأيه القائل: إنّ إبليس ليس من الملائكة لأنّ له ذريّة ونسل؛ والملائكة لا نسل ولا ذريّة لهم، فوجب أن لا يكون إبليس من الملائكة"[2]، وعلى هذا القول يكون خلق إبليس من خلق الجنّ نفسه، أيّ أنهما قبيلة واحدة، وإبليس سيّد قبيلته وعندما رفض السجود تكبرًا كان رافضًا لمبدأ عظيم وأمرٍ جليل، فبذلك سيتبعه من قبيلته أتباع وهم من يُسمّون الشياطين.

ولا يكون أبدًا من الملائكة؛ لأنّ الملائكة لا تعصي الله أبدًا، وهذه أمور غيبية مرجعها إلى الله.

أمّا قوله (كان)، ففيها معنى الصيرورة التي قال بها الزركشي في البرهان[3] في تعداد معاني كان، وأرى أنّها تحمل المعنى " أنه لم يزل منذ أُوجد كافرًا"[4] في تفسير قوله تعالى:

---

[1] : انظر : مفاتيح الغيب ١١ /١١٦

[2] : انظر المصدر السابق

[3] : الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق:محمد ابراهيم ، د.ط ، د.ت، مكتبة التراث–القاهرة انظر :١٢١/٤–١٢٧

[4] : المصدر السابق ١٢٢/٤

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ الإسراء: ٢٧، فتعني أنّ إبليس أصله المنقطع الأزلي من الجنّ.

وتبع هذا القول قوله: (ففسق)، فكانت الجملة الفعلية معطوفة على جملة (فسجدوا)، وهذا الإعراب، أمّا التحليل لهذا فيكون في الدور الذي حمله حرف العطف الفاء، فالفائدة منه الترتيب مع التعقيب، وهنا تجد أنّ المعنى أعمق، فبعد أن رفض السجود صار فاسقًا بذلك، فتجده أعطى معنى الصيرورة التي قال بها الزركشي سابقًا، فكأنّ هناك فعل محذوف وهو (كان فاسقًا) ولكنه جاء بالفعل (فسق) ليؤكد ويحقق وقوع الفسق ولا تأويل في تحقق وقوعه، فكأنه عطف (_فسق) على (كان)، والعداوة في تتمة الآية ناقشها ووضحها الرازي في تفسيره.

وفي سياق الجنّ الكافرين تجد قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ الجن: ٦

في هذه الآية تجد عند المفسرين أقوالًا في توضيح الوحي الذي جاء في بداية السورة، وفي سبب النزول، إلّا أنّ المهم في هذه الدراسة هو التركيب في هذه الآية.

سبق القول في استعانة الجنّ والإنس بعضهم ببعض في تحقيق مصالحهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ الأنعام١٢٨.

وهنا نقف عند قوله تعالى (رجال)، وعدم قوله (بعض من الإنس)، فتجد أنّ كلمة رجال في اللغة تعني: " الرجل: معرّف الذكر من نوع الإنسان خلاف المرأة"[١]، وغلب استخدام الرجل في اللغة على الأنثى والذكر، وفي بيان أسباب النزول تجد أنّ من كان ينزل للوادي ويستعين بالجن هم الرجال الذكور.

وقوله رجال من الإنس ولم يقل رجال الإنس وذلك لأن من تفيد التبعيض وقد تفيد بيان الجنس فكان من الأبلغ قوله من الإنس ومن الجنّ.

التأكيد السابق في الآيات بقوله : (وأنّه)، يعود للأية ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ﴾ الجن: ١، وكل ما تلا هذه الآية هو مما أوحي للنبي صلى الله عليه وسلم، وتجد عند الألوسي تأويلا لمتعلق بـ"يعوذون" فيقول: " في الآية متعلّق بـ (يعوذون) ومعناها أنه كان رجال من الإنس يعوذون من شرّ الجن برجال من الإنس ، وهو قول غريب مخالف لما عليه الجمهور."[٢]، وهذا ضعيف لأنّ السياق فيه مشاركة من الإنس والجن في العصيان، وهذا ما أكده قوله تعالى في سورة الكهف ٥٠، ولو قصد هذا المعنى لقال (يتعوذون) ولم يقل(يعوذون) فصيغة (يتفعّل) تختلف عن صيغة (يفعل)، فمعنى العَوذُ في اللغة : " عاذ يعوذ عَوذًا: لافى به ولجأ إليه واعتصم"[٣]، فصيغة يعوذون تعني يلجأون، أمّا صيغة يتعوذون فتعني يطلبون اللجوء فهم هنا يطلبون اللجوء لبعضهم من شرّ بعض.

---

[١] : لسان العرب ٢٦٥/١١

[٢] : روح المعاني ١٠٣/٣٠

[٣] : لسان العرب ٤٩٨/٣

ومما يدل على أنّ الإنس كانوا يلجأون للجن ليساعدوهم و يدلوهم على أنواع الشهوات واللذات ويسهلوها عليهم قوله: (فزادوهم رهقًا) أي كانوا بالأصل عصاة "وزادوهم إثما وجرأة وطغيانا وخطيئةً وغيًا وشرًا"[١] فتدل الزيادة على أنهم كانوا عصاة وزادوا عصيانًا على عصيانهم.

قُسّمت الآية إلى سبب ونتيجة بأطراف وهي كالآتي:

كان رجال من الإنس← يعوذون←برجال من الجن ⇐ فزادوهم رهقًا

الطرف الأول ← الفعل ← الطرف الثاني ⇐ النتيجة

فترتب على ما سمعه الجن في بداية السورة أن سمعوا أيضا أن بعضًا من الجن طغوا وعصوا وحال بعض الإنس مشابه لهم.

وأمّا سياق الجنّ المؤمنين فتجد فيه الآيتين: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الأحقاف: ٢٩، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ الجن: ١ – ٢، وهنا الوقفة في سياق الإيمان للجنّ المؤمنين، وتجد المفسرين والعلماء وقفوا عند هذه الآيات باحثين عن دليل يدلهم على أنّ الرسول –صلى الله عليه وسلم– أقابل الجنّ وتكلّم معهم أم لا؟ ، وهذا لقوله تعالى (صرفنا) وقوله (أوحي).

---

[١] : مفاتيح الغيب ٣١/ ١٣٩

وذهب المفسرون في قوله (صرفنا) وما تعني من صرف الجن للنبي- صلى الله عليه وسلم-، وهذه الصِرفة لها تفسير عند معظم المفسرين[1] أنّها جاءت لأنّ الجنّ لم يعودوا يتمكنوا من النفاذ إلى السماوات واستراق السمع، فحضروا للنبي باحثين عن السبب، فما وجدوا إلّا قراءته للقرآن الكريم.

وهنا يتضح أنّ من الجنّ المؤمنين والكافرين كالإنس تمامًا، وجاؤوا ليستمعوا القرآن بأمر من الله لهم، ونفر الجنّ المذكورين تم توضيحه في جانب من الدراسة سابقًا، إلّا أنك تنظر إلى حضور الإنس في هذه الآية بالضمير المتصل الكاف في قوله: إليك، فالرسول هو الإنسيّ المقصود، وتم إرسال الجنّ إليه ليستمعوا ما يقرأ، ثمّ ترتب على هذا السماع ما جعلهم ينذرون أقوامهم.

والفعل (صرفنا) وليس (صرّفنا) لأنّ أمر الله في قوله: كن، فيكون، ولا يستدعي حضور فعل مضعّف، والصرف لغةً: "صرَف: ردّ الشيء على وجهه، صرفه صرفًا، والصّرف: أن تصرف إنسانًا عن وجهة يريدها ، وصرّف الشيء: أمله في غير وجه كأنّه يصرفه عن وجه إلى وجه"[2]، إذًا تجد أنّ المعنى يتضم أنّ الجنّ عندما حضروا للرسول – صلّى الله عليه وسلم- لم تكن غايتهم سماع ما سمعوه، ثمّ لو تمعنت لوجدت أنّ المعنى قد يحمل عدم حضور الجنّ للنبي بالأصل، وأنّ وجهتهم لم تكن إليه، وسبب هذا الصرف هو استماع القرآن.

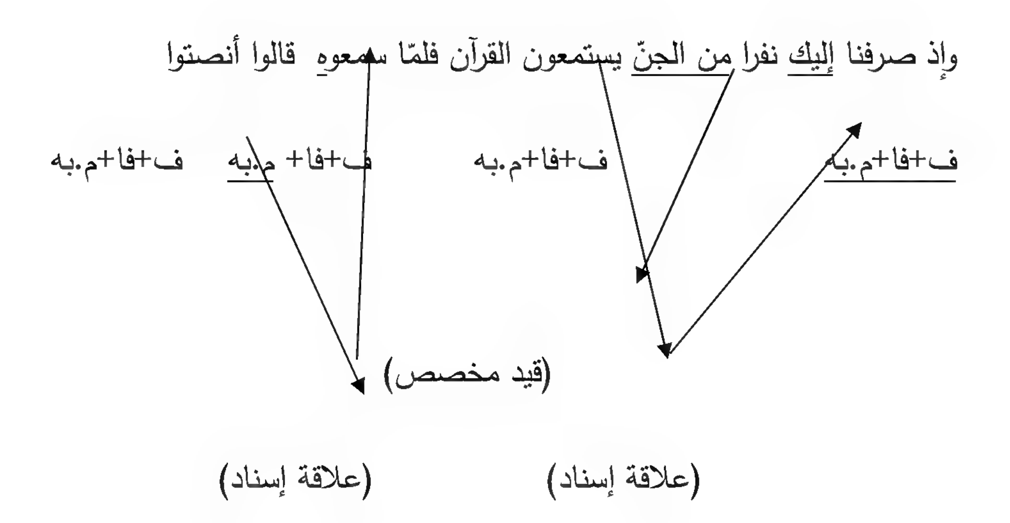
[1] : انظر: الطبري ١٣٦/٢٢، البغوي ٢٦٦/٧

[2] : لسان العرب ١٨٩/٩

التركيب في الآية مرتب على النحو الآتي:

صرفنا ← إليك← نفرًا من الجن←يستمعون القرآن←فلمّا حضروه← قالوا أنصتوا←فلمّا قضي ←ولّوا إلى قوهم←منذرين

والتركيب النحوي في الآية:



ذُكر الجنّ منفردًا دون الإنس في سياقات مختلفة؛ منها طبيعة خلقهم، والتسخير، والعبادة، وغيرها، والجن كالإنس في الإيمان والكفر، وسيجازى الجنّ على مافعلوه من عصيان لله وإشراك به وذلك يوم الحشر.

تنوعت الأفعال المستخدمة مع الجنّ، وكانت تحمل دلالة الإرادة بالقيام بالفعل، مثلا: يستمعون، جعلوا، يعمل، تبيّن، آتيكم، وغيرها.

الفصل الثالث:

(الآيات التي ذكر فيها " الإنسان" منفردًا)

الآيات التي ذكر فيها " الإنسان" منفردًا

ذكر سبحانه في القرآن الكريم ما يرتبط بعالم الإنس وعالم الجنّ، وتبيّن في الفصول السابقة ذكر العالمين مجتمعين، أوذكر الجنّ منفردًا، وفي هذا الفصل تحليل للآيات التي ذكر فيها الإنسان منفردا، أمّا الآيات التي بيّن الله فيها أصل المادة التي خُلق منها الإنسان[١]، فهي على تركيبين نحويين اثنين، وهما:

التركيب الأول: خلق+فاعل(مستتر) + الإنسان + من+(نطفة،علقة،...)

والتركيب الثاني: خلق+الضمير (فاعل)+ضمير(م.به)[٢]+من تراب

أمّا في التركيب الأول فتجد الآيات الآتية:

١) ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾ النحل: ٤

٢) ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ السجدة: ٧

٣) ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ الرحمن: ١٤

٤) ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾ العلق: ٢

٥) ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ يس: ٧٧

٦) ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ الإنسان: ٢

---

[١] : وهناك آيات جاءت في بيان أصل الخلق ولم يُذكر لفظ الإنسان فيها

[٢] : اختصار : مفعول به

٧) ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ﴾ عبس: ١٧ – ١٩

٨) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) ﴾ الحجر: ٢٦

٩) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ﴾ المؤمنون: ١٢

١٠) ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ (٦) ﴾ الطارق: ٥ - ٦

في هذا التركيب تجد الفعل (خلق) والفاعل (الضمير) والمفعول به (الإنسان)، وكان الفعل في صيغة الماضي لتحقق وقوعه، ولكن الذي تنوع في هذه الآيات هو اللفظ الذي استخدمه الله عزّ وجل– في بيان نوع المادة وأصل الخلق.

تجد المادة التي خلق منها الإنسان وتبينت في الآيات السابقة تقسم إلى أنواع؛ النطفة، والطين، والصلصال، والعلق، والماء الدافق، وقد تكون هذه الأنواع لها أصل واحد، أو هي أطوار في الخلق وذلك لقوله تعالى:﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) ﴾ نوح: ١٤.

يُعدّ التراب هو المادة الأصل التي خُلق منها الإنسان الأول ، وهذا لقوله تعالى:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٥٩) ﴾ آل عمران: ٥٩، وقوله تعالى في آيات أُخر إنّ التراب هو ما بدأ الخلق به، ثمّ تلاها النطفة، والنطفة تحمل في معناها الماء وهو ماء الرجل، يقول ابن منظور: "النُطفة: القليل من الماء وقيل: هي الماء الصافي، والعرب تقول للمويهة القليلة نطفة، وللماء الكثير نطفة، وهو بالقليل أخص، والنطفة التي يكون منها الولد"[١]، فهذا المعنى جمع بين قوله تعالى النطفة والماء الدافق.

[١] : لسان العرب ٣٣٥/٩-٣٣٦

والعلق هو طورٌ يلي النطفة، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ الحج: ٥، أمّا الصلصال فهو مادّة طينية " وما لم يُجعل خزفًا، وكل ما جفّ من طين أو فخار"[١]، والسؤال هنا: لماذا كان هناك تنوع في بيان أصل خلق الإنسان؟ وما ميّزة التركيب اللغوي المُستخدم في هذا السياق؟، تجد المفسرين شرحوا وفسّروا الآيات، وبدءًا بالآية الأولى تقف عند الرازي لتجد قوله: "إنما يخلق الإنسان من النطفة بواسطة تغيرات كثيرة مذكورة"[٢]، وهذه التغييرات هي السلالة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ المؤمنون: ١٢، وفي هذه الآية ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾ النحل: ٤ ، تجد الإنسان حاضرًا ببدنه وعقله، ففي بيان الخلق للبدن قال: (نطفة)، وأمّا قوله (خصيم) فهذا العقل، وهذا الحال أيضًا في الآية الخامسة في قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ يس: ٧٧، ووصفت هذه النطفة بالأمشاج في قوله في الآية السادسة: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ وحرف الجر (من) يشير إلى مراحل الخلق.

والأمشاج هي الخليط، وهنا يقف النحاة عند هذه الكلمة إن كانت جمعًا أم مفردة[٣]، و إن كانت جمعًا لا مفرد له فإنها تعامل معاملة المفرد مثل: الأنعام، وعلى هذا فهي نعت لنطفة، أمّا إن كانت جمعًا لكلمة مشج فهي صفة جمع لمفرد، وهذا يؤول إلى أنّ النطفة مكونة من أجزاء فجاءت جمعًا.

[١] : لسان العرب ٣٨٢/١١
[٢] : مفاتيح الغيب /١٨٠
[٣] : انظر: التحرير والتنوير ٣٧٥/٣٠ وانظر: الخصائص ٤٨٢/٢

ووقف الرازي عند شرحه للنطفة في سورة النحل وقفة مطوّلة في بيانه للأجزاء التي تتكون منها[١]، وفي العلم الحديث تجد في هذه الكلمة إعجازًا علميًا، حصر أحد العلماء –في أحد المواقع الإلكترونية المتخصصة بأبحاث الإعجاز العلمي في القرآن– أحرف كلمة (أمشاج) في السورة وخرج بهذه النتيجة: "مجموع هذه التكرارات للحروف هو ٦٩٠ وهذا العدد يقبل القسمة على عدد كروموسومات الإنسان ٤٦ بدون باقي، فهو حاصل ضرب ٤٦ بـ ١٥، اللافت للنَظر أيضاً أن ١٥ كلمة بالضبط سبقت عبارة "نطفة أمشاج" في هذه السورة، الكلمة الخامسة عشرة في السورة هي كلمة "من"، لاحظ ارتباط المعنى لكلمة "من"، ترتيبها بالموقع الخامس عشر وحاصل ضرب ١٥ بـ (عدد الكروموسومات)، هذه العملية الحسابية تعطي قيمة العبارة التي تلي كلمة "من" أي (نطفة أمشاج) ."[٢]

فهذة النتيجة تدلّ على أنّ هذه النطفة ليست نطفة عاديّة وإنما هي مختلطة وتحمل أوصافًا وراثية مختلفة، وكلمة أمشاج صوتيًا كلمة متكونة من الأصوات : م ش ج، وهذه الأصوات لها من الخصائص ما جعلها مميزة، " الميم مجهورة فيها شدّة، غير أنّ فيها غنّة، فتشابه الحروف الرخوة"[٣]، وتزيد قولا بأنها رخوة وليست مشابهة للرخوة، ويليها الشين الذي هو " مهموس رخو فيه تفشٍ لانتشار الصوت به عند النطق، والجيم أقوى من الشين لأنه مجهور شديد"[٤]، فكانت الميم تحمل في خروجها الجهر والقّوة الذي يحتاجه الرجل ليتكون الماء، ثمّ الغنّة التي جعلتها تشابه الأصوات الرخوة والرخاوة تكون في ميوعة هذا الماء، وتلا

---

[١] : انظر: مفاتيح الغيب تفسير سورة النحل

[٢] www.igaz.com:

[٣] : الرعاية ٢٣٢

[٤] : الرعاية ١٧٥–١٧٦ بتصرف

هذا الحرف الشين الرخوة والجيم الشديدة، فكانت الكلمة مختلطة بين الشدّة والرخاوة، وهذا من صفات النطفة، فكلمة (أمشاج) هي أنسب وصف للنطفة التي خُلق منها الإنسان.

ووزن هذا الجمع هو من أكثر أوزان الجموع في القرآن الكريم[١]، وهذا يجعل الكلمة تحمل الكثرة في كميتها، والأمشاج هي خليط، فكان جمع الكثرة أولى به.

والطور الثالث من أطوار التخلّق هو (العلقة)، فبعد أن كان ترابًا وطينًا فنطفةً، صار علقة، والعلقة هي من الفعل (عَلَق): " علق بالشيء نشب فيه، ولزمه"[٢]، والعلقة هي في مرحلة تلي النطفة بوقت، لقوله تعالى:(مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) الحج٥، ويقول القرطبي: "جمع علقة، والعلقة الدم الجامد"[٣]، وهذا الدم يتصف بالرطوبة ليعلق بالرحم، وهذه العلقة هي مزيج من الرجل والمرأة، فكانت الآية توضح مبدأ الخلق من العلق؛ " فجعلت العلقة مبدأ الخلق ولم تجعل النطفة مبدأ الخلق؛ لأن النطفة اشتهرت في ماء الرجل، فلو لم تخالطه نطفة المرأة لم تصر العلقة فلا يتخلق الجنين"[٤]، فكان التعريف بالذي خلق في هذه السورة لبيان عظمة الخالق على المخلوق،

فتتشبث هذه العلقة برحم المرأة لعلاقة الأمومة التي ستجمعهما، وكأنّ الرحم هو البيت الأكثر أمانًا لها، ثم بعد حين تصير مضغة، والمضغة لها تفسير علميّ حديث، لم يجد

---

[١] : انظر: المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته ، للدكتور أحمد مختار عمر http://www.tafsir.net
[٢] : لسان العرب ٢٦٠/١٠
[٣] : الجامع لأحكام القرآن ١٠٧/٢٠
[٤] : التحرير والتنوير ٤٣٧/٣١

العلماء تسمية له أفضل من مضغة لأنّ شكلها يشبه مضغ الأسنان، ففيها آثار كآثار الأسنان، ولكن هذا التركيب لم يذكر المضغة، فوجود المضغة يعني الحياة، ففي بحث للإعجاز العددي في القرآن تجد الباحث (ابراهيم آيت أبورك) في بحثه (حساب زمن مراحل خلق الإنسان داخل الرحم وخارجه في القرآن الكريم)[١]، تجد أنّه توصل لمعلومات فيها دقّة متناهية في معرفة عمر النطفة والعلقة والمضغة، وأثبت ذلك ما جاء في ترتيب مراحل الخلق في القرآن الكريم.

هذه الآيات السابقة في هذا التركيب جاءت لمخاطبة عموم الناس، ولم تحدد فئة معيّنة، فكان أصل الخلق من نطفة أولى بالذكر لتوضيح ماهية الخلق، أمّا الجنّ فلم تُذكر مراحل الخلق لهم، ولم يكن هناك إلّا أوصافًا للنار التي خلقوا منها، وهذه حقائق غيبية لا يُبحث فيها لعدم معرفة ماهية زواج وتكوّن الجنّ.

أمّا في بيان أصل الخلق السابق للنطفة تجد الآيات جاءت في التركيب الثاني، وهو :

خلق+الضمير (فاعل+ م.به)+من تراب

وهذه الآيات هي:

١) ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى **خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ** ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾ الكهف: ٣٧

٢) ﴿ وَٱللَّهُ **خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ** ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ فاطر: ١١

[١] http://www.ahl-alquran.com:

٣) ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ غافر: ٦٧

٤) ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الروم: ٢٠

٥) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ الحج: ٥

هذه الآيات جاءت بتركيب واحد، والخلق هنا كان من تراب، وهو الأصل الذي خُلق منه الإنسان، وهذا التراب في الواقع لا يساوي شيئًا، وما جاء ذكره هنا إلا في سياق المنكرين للبعث، ففي الآية الأولى في قصة صاحب الجنتين الذي أنكر فضل الله عليه، فذكّره صاحبه بأنّ أصله من تراب ولا يساوي شيئًا أمام عظمة الله عليه، وكلمة تراب جاءت نكرة وغير موصوفة، وذلك لأنّ النكرة تحمل في معناها العموم ولا تخصيص في نوع التراب وماهيته، فكان صاحبه منكرًا عليه ما يفعله، والتركيز على التراب يرهص إلى ضرورة النظر إلى ما يؤول إليه جسد الإنسان بعد الموت وهو العودة إلى التراب بما فيه من عناصر، وذلك من شأنه أن يؤكد حقيقة الخلق، فيدل على الخالق، والحرف (من) هو ابتدائي.

وكانت الآيات في بيان الأطوار، ولكنك تجد في قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الروم: ٢٠ جاء البشر بعد التراب ولم يقل نطفة، ولعل هذا الترتيب جاء لأنه يريد بيان قدرته على إخراج الحيّ من الميت، وهذا من دلائل الإعجاز الذي بدأت

الآية فيه بقوله: (ومن آياته)، فلو قال: ثمّ من نطفة، لكان الأمر فيه تفصيلا طويلًا ولا يستدعي السياق ذلك، فقال: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ ، فالحرف(ثمّ) يعطي مدة ، وقوله (إذا) فيه شيءُ من المفاجئة التالية للتراب، " وصدرت الجملة بحرف المفاجأة لأن الكون بشرٌ يظهر للناس فجأة بوضع الأجنة، وما بين ذلك من الأطوار التي اقتضاها حرف المهلة هي أطوار خفية غير مشاهدة فكان الجمع بين حرف المهلة وحرف المفاجأة تنبيها على ذلك التطور العجيب" [1]

[2]وهذا الحال في الآيات الباقية من منكري البعث ، وكان الخطاب فيها للغائب، (الذي خلقك) و(والله خلقكم) و(هو الذي خلقكم) و(من آياته أن خلقكم) ، ولكن في الآية الخامسة كان المتكلم الله بنسبة الضمير لنفسه (إنّا خلقناكم)، وذلك لأنّه كان يخاطب الناس فقال: يا أيّها اثمّ صار حمأً مسنونًا، وهذه المراحل بدأت بالتراب وهو أهون وأقل شيء ثمّ يعود هذا الإنسان إلى تراب لقوله تعالى:﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ طه: ٥٥، فهو لاشيء.

ثمّ اختيار كلمة (تراب) وليس (رمل)؛ لأنّ الرمل يتكون من مادة السيليكا، أمّا التراب فهو يتكون من عناصر مختلفة من أكاسيد الكربون والحصى والكالسيوم وأكسيد السيليكا[3]، فكان الإنسان مخلوقًا من عناصر مختلفة مكوّنة للتراب، فأدّى هذا الانزياح في اختيار كلمة (تراب) دلالة لا تتأتى من غيرها من الكلمات.

---

[1] : التحرير والتنوير ٧٠/٢٢

[3] : الكيمياء للمرحلة الثانوية، وزارة التربية والتعليم الأردنية: ط١، ٢٠١٢، الأردن، ص١٧٩

والاختلاف بين التركيبين هو بكون المفعول به في التركيب الأول (الإنسان) أمّا المفعول به في التركيب الثاني فهو ضمير، وذلك لأنّ التركيب الأول كان في بيان مراحل الخلق بعد أن آمن الناس بالله وبأنه الخالق، ولكن في التركيب الثاني الخطاب للمنكرين من الإنس للخلق والبعث والنشور، فكان الأولى أن يبين لهم كافة أنهم لا يساوون شيئًا فهم من تراب فكان حضوره ضميرًا، والضمير رتبته تأتي بعد رتبة الاسم الظاهر فهو أقل رتبة.

وهناك آيات لم تأت على نمط واحد في بيان خلق الإنسان، ففي قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ ﴾ الصافات: ١١، هذا الطين الذي ذكره الله-عز وجل- له خصائص معيّنة، فهو لازب، ولازب لغة: " الضيق، وماء لزب: قليل، وطين لازب لاصق وصلب"[١]، وهذا بعد اختلاط الماء به، وتجد قولًا محتملًا لـ(طين لازب): " جيد حر لاصق يعلق باليد ، ومعناه اللازم ، أبدل الميم باءً كأنه يلزم اليد"[٢]، فالله يستنكر على الجاحدين والمنكرين فعلهم، وفي وصف آخر _قد تكون مرحلة تالية للازب_، ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ الحجر: ٢٦، جاء الخلق هنا من حمإٍ مسنون، والحمأ لغةً هو: " اسم جمع واحدته حمأة، وهو الطين الأسود المنتن"[٣]، وهذا الحمأ المتغير صار منه صلصال، والصلصال هو: " **طين يابس**"[٤]، فهذا الطين الأسود

[١] : لسان العرب ٧٣٨/١
[٢] : البغوي ٣٥/٧
[٣] : لسان العرب ٦١/١
[٤] :الجامع لأحكام القرآن ٢١/١٠

صار يابسًا، والمسنون " سنّ الطين: طيّن به فخارًا، والمسنون: المصوَّر والمنتن"[١]، وللرازي رأيٌ يقول: " إنه تعالى خلق آدم من طين على صورة الإنسان فجف، فكانت الريح إذا مرت به سمع له صلصلة، فلذلك سماه الله تعالى صلصالًا"، ومما جاء إنه منتن، فهو طين له رائحة نتنة، وضعّف الرازي هذا القول فلا يكون صلصالًا نتنًا، ولو نظرت لكلمة صلصال ثمّ حمأ، لوجدت أن وجودهما يعطي لكل منهما دلالة، فالحمأ هو الطين، ثمّ صار له طور جديد وهو الصلصال، وهذا الصلصال نفخت فيه الروح ليكون أوّل البشر ثمّ يحمل في سلالته ما يبدأ بالنطفة.

إذًا فالمراحل على الترتيب هي:

تراب← طين لازب← حمأ مسنون← صلصال

وهذه الكلمات كلّها جاءت نكرة، وهذا لأنّ التراب كان بالأصل نكرة فهو غير مخصص بنوع أو مكان أو لون، فكان خليطًا من أنواع، وهنا قد يقف العلم عند بحث الجينات المسؤولة عن اللون عند الإنسان ليكتشف أنّ السبب الرئيس هو اختلاف التراب الذي خلق منه أوّل البشر.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ النجم: ٤٥ – ٤٦، في قوله الزوجين بيان أنّ النطفة وحياتها لا تكون إلّا من الذكر والأنثى، ففصل هذا بقوله: من نطفة إذا تمنى، وتمنى تعني: " من أمنى المني إذا نزل"[٢]، ولم يكن هنا القول بخلق

---

[١] : لسان العرب ٢٢٧/١٣

[٢] : مفاتيح الغيب ١٥ /٢٠

الإنسان؛ لأنّ ما سبقها من آيات وضحت الحياة والموت، ولا يكون هناك حياة إلا بعد الخلق، وهنا ذكر الزوجين لبيان مرحلة لاحقة على خلق الإنسان واستمرار حياته بالتزاوج، فكان ذكر الزوجين أنسب.

ولا يكون هذا الخلق إلا بعد تطورات هرمونية جسدية عند كل من الزوجين، وهذا ينتج عنه حياة أو موت، فسبق هذه الآية قوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ النجم: ٤٤ فكانت الحياة لمن كتب الله له لحياة من النطف، وكان هناك موت لمن لم تكتب له الحياة، وتلاها قوله: ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾ النجم: ٤٧، فكانت النشأة بعد الموت هي حياة جديدة.

تحمل كلمة الزوج معنى الثنائي، وفي هذه الآية جاء بعد هذه الكلمة تأكيد التزاوج من ذكر وأنثى.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ الفرقان: ٥٤، خلق الإنسان من الماء، وهذا مرحلة تالية للخلق، فالماء هنا ماء الزوجين، ومن هذا الخلق يتناسل البشر، ويتناسبون ويتصاهرون، وهنا في هذا الترتيب بين خلق البشر ثمّ التناسب ويليه التصاهر رتبة بين المعطوفات، فالنسب لغة: القرابة، وهو واحد الأنساب، وهو في الآباء خاصّة"[1] ، والصهر هو : " القرابة وجمع الأصهار، وهم أهل بيت المرأة"[2]، فتجد أنّ التقديم بينهما هنا كان من تقديم الرجل على المرأة، وذلك لأنّ السبب في الزواج والتناسل هو الرجل.

---

[1] : لسان العرب ١/٢٥٥

[2] : لسان العرب ٤/٤٧١

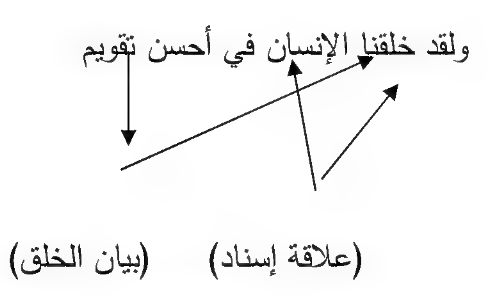
وفي سورة التين يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ التين: ٤، فكان خلق الإنسان في كل أحواله من أحسن ما خلقه الله له، ويقول بعض العلماء في هذا الخلق : " ليس لله تعالى خلق هو أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حيًا عالمًا، قادرًا، مريدًا، متكلمًا، سميعًا، بصيرًا، مدبرًا، حكيمًا ، وهذه صفات الرب ، وعنها عبر بعض العلماء"[1]، وعلى هذا القول يقول الرازي: "أنه تعالى خلق كل ذي روح مكبا على وجهه إلا الإنسان فإنه تعالى خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده، في أكمل عقل وفهم وأدب وعلم وبيان، والحاصل أن القول الأول راجع إلى الصورة الظاهرة، والثاني إلى السيرة الباطنة"[2]، والأرجح أنّ الخلق الذي وجد عليه الإنسان نفسه هو أحسن ما يكون عليه، والخلق هنا هو على تفسير الباطن.

وهذه الآية جواب لقسم سابق، وهو في قوله: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ ﴾ التين: ١ – ٣، فأقسم رب العزة على خلق الإنسان من بدايته لنهايته، فخلقه بأحسن صورة، وثمّ ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ التين: ٥، فكانت نهايته، " ولما كانت الرسالات إنما هي منهج للإنسان وشريعة له، كان الجواب يتعلق بالإنسان طبيعة ومنهجاً، فذكر طبيعة الإنسان في قوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ وذكر المنهج في قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ ، وفي هذا إشارة إلى أن المنهج لا بد أن يكون

[1] : ابن العربي، محمد بن عبدالله الأندلسي: أحكام القرآن، ط١، د. ت ، دار الكتب العلميّة–بيروت ٣٦١/٤
[2] : مفاتيح الغيب ١٢/١١

متلائمًا مع الطبيعة البشرية غير مناقض لها، فكان الجواب كما ترى أوفى جواب وأكمله وأنسب شيء لما قبله وما بعده"[١]، فكان هذا الجواب للإنسان ليعرف قدرة الله عليه.

وتتركب الآية من الجملة النواة: خلق الله الإنسان، وهنا انزاح المعنى إلى بيان خلق الإنسان بقوله: في أحسن تقويم، ولمّا أراد المتكلّم –عز وجل– التأكيد على قدرته على خلق الإنسان في أحسن صوره وأحواله قال:



(علاقة إسناد) (بيان الخلق)

وفي سياق الأحوال والصفات للإنسان تجد في قوله تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ النساء: ٢٨، فحق قول الله بخلق الإنسان ضعيفًا، والضعف لغة: "خلاف القوّة، والضُعف في البدن، والضَعف في الرأي والعقل، وخلق الإنسان ضعيفًا أي يستميله هواه"[٢]، فالضعف المراد للإنسان هنا هو ضعف العقل الذي يؤدي إلى ضعف البدن، وذلك لأنّ الآية السابقة: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن

[١] : سلسلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة – الإعجاز اللغوي والبياني(٨٩) لسمات بيانية من سورة التين بقلم الدكتور : فاضل السامرائي

[٢] : لسان العرب ٢٠٣/٣

﴿تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٢٧، فمن يتبع الشهوات مال إلى هواه ولم يحكم عقله، فضعف بدنه واستسلم لها.

وبعد الصراع بين عقله وجسده تجد الجسد أقوى من العقل فيضعف العقل ويتبع الجسد، وهذه صفة لكل إنسان، ويذهب الطبري إلى تفسير الضعف على أنّه: "يسر ذلك عليكم إذا كنتم غير مستطيعي الطول للحرائر، لأنكم خلقتم ضعفاء عجزة عن ترك جماع النساء، قليلي الصبر عنه، فأذن لكم في نكاح فتياتكم المؤمنات عند خوفكم العنت على أنفسكم، ولم تجدوا طولا لحرة، لئلا تزنوا، لقلة صبركم على ترك جماع النساء."[١]، فهذا قد يرتبط بما سبق من القول بضعف العقل الذي يضعف الجسد، ويضيف البغوي رأيًا فيقول فيه: "وقال الحسن : هو أنه خلق من ماء مهين" [٢]، وهذا لما جاء في قوله تعالى عن خلق الإنسان من ضعف: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ الروم: ٥٤، والضعف الأوّل هو خلق الإنسان من ماء ضعيف، وهذا من الآراء الراجحة، ولكن في النهاية هذا الضعف في الخلق وفي النفس هو ما يقرره القول السابق بضعف العقل واتباع الهوى، ثمّ النزع فيه قوّة وشدة ليست في الأخذ، وفيه نوع من الرهبة والخوف.

تركيب الآية جاء بصيغة المبني للمجهول، والفعل لم يُسم فاعله وهذا انزياح عن المعتاد بالفعل الذي يُذكر فاعله، وذلك لأنّ نسب الضعف للخالق مباشرة يوحي بعجز وقلة

---

[١] : تفسير الطبري ٨/٢١٦

[٢] البغوي ٢/٢٠٠

قدرة، ولكن الله لا يعجز عن شيء وعن خلق القوّة؛ فجاء الفعل دون تسمية فاعله ليبقى المهم والمحور الرئيسي هو كون الإنسان ضعيفًا.

وفي آيات كثيرة تجد أن الإنسان كان وصف حاله بكلمات على وزن (فعول)، وهذه الآيات على ترتيب السور في المصحف:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ ﴾ هود: ٩، "يخبر الله –تعالى– عن الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة، إلا من رحم الله من عباده المؤمنين، فإنه إذا أصابته شدة بعد نعمة حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل، وكفر وجحود لماضي الحال، كأنه لم ير خيرًا، ولم يرج بعد ذلك فرجًا"[١]، وهذا الترتيب بين (يؤوس كفور) فيه مما ذكره ابن كثير ميزة؛ فاليأس يأتي بعد حلول العذاب وذلك لأن الله نزع الرحمة وأنزل ابتلاءه، فييأس العبد، ولكن هذا اليأس هنا تبعة كفر بنعم الله ونكران كونه كان منعمًا من قبل.

والآية في السياق اللغوي فيها تحويل، فالتركيب في اللغة يكون : ولئن أذاق الله الإنسان رحمة ثمّ نزعها منه ييأس ويكفر، انظر للضمير(أذقنا، منّا) هذا الضمير يعود على الله، ولم يذكر لفظ الجلالة صراحة لأنّ فيه معنى السيطرة والهيمنة والقدرة والعزّة من الخالق، وأكد على أن الرحمة منه سبحانه بإضافة الجار والمجرور (منّا)، ثمّ نزع هذه الرحمة، وأبدلها ضراء، وهناك آراء في لفظ الإنسان، يضعها الرازي بين اثنين: الرأي الأول: الإنسان

---

[١] : تفسير القرآن العظيم ٣٠٧/٤

الكافر والمؤمن، والرأي الآخر: الإنسان الكافر، وعلى هذه الآراء يضع تحليله للذوق في الآية قائلًا: " لفظ الإذاقة والذوق يفيد أقل ما يوجد به الطعم، فكان المراد أن الإنسان بوجدان أقل القليل من الخيرات العاجلة يقع في التمرد والطغيان، وبإدراك أقل القليل من المحنة والبلية يقع في اليأس والقنوط والكفران، فالدنيا في نفسها قليلة"[١]، وهذا ينتج عنه اليأس أو الشكر، وذلك لما تلا هذه الآية من قوله: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ هود: ١٠ – ١١، فيفرح بعد النعمة ويفخر.

والوصف في الآية الأولى جاء على وزن (فعول)، وفي الآية التالية جاء على وزن (فعِل، فعول)، وهذا بناء دال على الكثرة لقول ابن فارس : "البناء الدال على الكثرة (فعول، فعّال)"[٢]، وهذا لأنّ الإنسان كثير الإنكار والجحود واليأس، وجاء في بناء توكيد، "وغالب الجمل الموسّعة بالتوكيد مُصدّرة بالحرف التوكيدي الناسخ (إنّ) "[٣] وهنا قد تجد آيات كان التوسع فيها بـ(كان).

ويشبه ذلك قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ المعارج: ١٩ – ٢١، وجاء معه مظهر توكيد (إنّ) والوصف على وزن المبالغة (فعول)، ومن ذلك أيضًا قوله: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ

---

[١] : مفاتيح الغيب ٩ /١٥٤

[٢] : الصاحبي في فقه اللغة ١٧٠

[٣] : الغدير، كفاية: الجملة الموسّعة في القرآن، رسالة ماجستير، ١٤٢٦هـ، جامعة الملك السعود–الرياض

﴿ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ إبراهيم: ٣٤، جاء الظلم على وزن المبالغة (فعول)، وتجد الكفر جاء على وزن (فعّال) وهذا البناء للمبالغة وذلك مما سبق ذكره عند ابن فارس، ومعه التوكيد، وجاء هذا البناء في قوله تعالى :﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ الإسراء: ١١﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ الإسراء: ٦٧﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴾ الإسراء: ٨٣﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ الإسراء: ١٠٠ .

كان الإنسان عجولا← "هو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضجر بما لا يحب أن يستجاب له: اللهم أهلكه، دعاءه بالخير أي كدعائه ربه أن يهب له العافية، فلو استجاب الله دعاءه على نفسه بالشر هلك لكن بفضله لا يستجيب له في ذلك"[١]، فهو يستعجل الإجابة بالشر مثلما استعجلها بالخير، وتجد في آية أخرى قوله: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ الأنبياء: ٣٧، فطبع الإنسان عجولٌ، " ويقال : خلق الإنسان من الشر أي شريرًا إذا بالغت في وصفه به"[٢]، تجد البنائين يدلان على الكثرة، والله يقر بخلق الإنسان من العجلة والسرعة، وهناك من قال بغير المعنى " قال أبو عبيدة وكثير من أهل المعاني : العجل الطين بلغة حمير"[٣]، وهذه ليست صفة سيئة، " فإذا فكر العقل في شيء محبوب استعجل حصوله بداعي المحبة، وإذا فكر في شيء مكروه استعجل إزالته

[١] : الجامع لأحكام القرآن ٤٩/١٠

[٢] : الجامع لأحكام القرآن ١٩٧/١١

[٣] : المصدر السابق

بداعي الكراهية، ولا تخلو أحوال الإنسان عن هذين ، فلا جرم كان الإنسان عجولا بالطبع فكأنه مخلوق من العجلة"[١]، فتحمل معنى العجلة بشقيه؛ الإيجابي والسلبي.

كان الإنسان كفورا← "الإنسان هنا الكافر وقيل : وطبع الإنسان كفورٌ بالنعم إلا من عَصِمه الله؛ فالإنسان لفظ الجنس"[٢]، فهو يطلب ويرجو من الله وهو في الضيق وعند الفرج يعرض عن الله، ويكون كفورا بنعم الله عليه، والحديث في ذلك عن عموم الإنسان لا الخصوص.

كان يؤوسا← "معناه أنه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فإذا تأخرت الإجابة يئس ولا ينبغي للمؤمن أن ييأس من الإجابة وإن تأخرت فيدع الدعاء"[٣]، وهذا اليأس الذي سبق ذكره في يأس الإنسان من زوال الابتلاء أو الضرّ، ويقول تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ فصلت: ٤٩، مشابهة لها، ولكن الصفة الملازمة هنا هي اليأس والقنوط، فوصل إلى قمة اليأس، وقنط: "يئس من الخير"[٤]، فكان يائسًا بعد أن مسه الشرّ، وكان ذو دعاء عريض في قوله: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ فصلت: ٥١، فالإنسان هو الكافر، وهو الذي " ترفع عن الانقياد إلى

---

[١] : التحرير والتنوير ٦٩/١٨

[٢] : الجامع ١٧٢/١٠

[٣] : البغوي ١٢٣/٥

[٤] : لسان العرب ٣٨٦/٧

الحق وتكبر على أنبياء الله"[١]، وحاله الثاني أنه إذا مسه الشر تضرع إلى الله واستغاث به أن يكشف عنه ما نزل به واستكثر من ذلك ، فذكره في الشدة ونسيه في الرخاء ففي النعمة ينسى، وعن مساس الشر له وليس وقوعه به يتذكر الله ويلجأ إليه، ويقال نزلت الآية فيمن كفر فالإنسان هنا يراد به الكافر، "وقيل : الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف "[٢].

كان الإنسان قتورا← " لو أن لهم نصيبا في ملك الله لما أعطوا أحدا شيئا، ولا مقدار نقير"[٣]، فالإنسان من طبعه القتر، والقَتَّر في اللغة: "أقتر الرجل: أفقر، ويقتر: يفتقر بما يجب عليهم من النفقة، ويضيق عليهم"[٤] ، فهو قتور بما يجب عليه الإنفاق عليهم، فكيف لو ملك الخزائن!

وهذا السياق من كفر الإنسان بنعم الله جاء في قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ الزمر: ٨، فحال الإنسان هذا هو الكفر، فيكون الإنسان الكافر بنعم الله عليه هي عدم شكره عدم صبره، ولا يذكر الله إلا في حاجة عنده وينسى شكره في حال

---

[١] : الجامع ٣٣٣/١٥

[٢] :فتح القدير ١٣٢٣

[٣] : الجامع ٢٠٤/١٠

[٤] : لسان العرب ٧٠/٥-٧١

الرخاء، ويؤكد تعالى بقوله: (قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ)، بتوكيد لفظي غرضه " التنبيه لأمر عظيم، فإنك من أصحاب النار بنكرانك لله وكفر بنعمته"[١]، والتمتع بالكفر فيه أمر عجيب؛ كيف يكون الكفر متعة ؟، فيقول القرطبي في المتعة: " تمتع : وهو أمر تهديد، فمتاع الدنيا قليل"[٢]، فلم تكن المتعة بأمر محبب، وإنما اختصت بالكفر، ولو نظرت للغة واستخدامها للمتعة لوجدت أن المتعة عند ابن منظور : "معانيها وإن اختلفت راجعة إلى أصل واحد، فأما المتاع في الأصل؛ فكل شيء ينتفع به ويُبتلغ به ويُتزود والفناء يأتي عليه في الدنيا"[٣]، فكان التمتع مؤقتًا بما يرغب به الكافر من معاصي ستفنى وسيفنى معها.

واستخدام الأسلوب (إذا) وليس (إن) لأنّ "إذا" تحمل دلالة "المقطوع بحصوله وللكثير الوقع، أمّا (إن) فتحمل دلالة المعاني المحتملة والموهومة النادرة الحصول والمستحيلة"[٤]، والمعنى هنا يدل على كثرة الحدوث للفعل فناسب الأسلوب (إذا).

وفي هذا الأمر استدعاء لشيء آخر في جوهر الإنسان وتنبيهه وهو العقل؛ ليتدبر في أمره فربما نجا من ذلك.

وقوله:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴿٦٦﴾ ﴾ الحج: ٦٦، جاء التأكيد على كون الإنسان كفورًا، وكانت بالتأكيد بـ (إنّ) واللام، فالحياة والموت هي بيد

---

[١] : النعسان، كوثر: المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها،دراسة تطبيقية، ماجستير، ٢٠١٠م، الجامعة الإسلامية- غزة

[٢] : الجامع لأحكام القرآن ٢١٢/١٥

[٣] : لسان العرب ٣٢٩/٨

[٤]: السامرائي، فاضل: معاني النحو، ط٢، ٢٠٠٣م مكتبة العاتك -بغداد، ج٤ ص ٦٠-٦١

الله ومن أعظم دلائل قدرة الله، ومع ذلك يصرّ الإنسان على الكفر والإنكار، " أريد بالإنسان خصوص المشرك، والكفور : مبالغة في الكافر ، لأن كفرهم كان عن تعنت ومكابرة، ويجوز

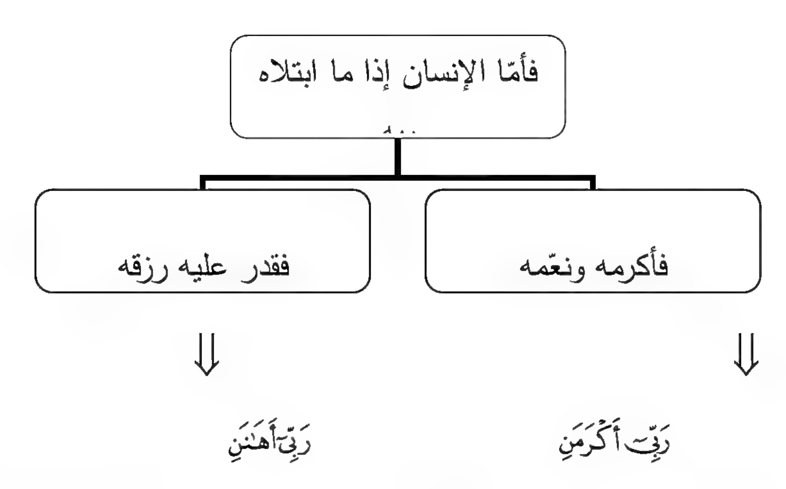
كون الكفور مأخوذًا من كفر النعمة وتكون المبالغة باعتبار آثار الغفلة عن الشكر"[١]، ولكن لو كان من غفل عن الشكر كافرا ومشركا فلن تجد أحدًا مسلمًا، فيحتمل القول الثاني لابن عاشور في كونه غافلا عن الشكر فيكون الإنسان هنا عامّة وليس خاصّة بالمشركين.

وهذا الحال للإنسان في ابتلاء الله، فيقول تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ ﴾ الفجر: ١٤ – ١٧، استخدام (أمّا) يأتي لتفصيل، وهذا تفصيل المرصاد الذي يرصده الله من عباده وعليهم، " أي يرصد عمل كل إنسان حتى يجازيه به، وقيل : أي على طريق العباد لا يفوته أحد، والمرصد والمرصاد: الطريق"[٢]، فيكون راصدا فعله وقوله في كل أحواله؛ ففي الآية يتضح أنّ الابتلاء يكون في الإكرام والحرمان، والنتيجة تكون بكفر وجحد النعم ويظن الإنسان أنه كرّم لأنه يستحق ذلك ولا يعلم بأنه ابتلاء من الله لشكره أو يقدر الرزق ليبتليه في صبره، وهذا يكون كما يأتي:

---

[١] : التحرير والتنوير ٣٢٧/١٨

[٢] :الجامع لأحكام القرآن ٤٥/٢٠



فحاله لا يكون بالصبر أو الشكر، وأجمع المفسرون على أنّ الإنسان المذكور هو (الكافر)، وقد تقول ما سبب قوله ربي أهانن مع أنه قال قدر عليه رزقه، فلم تكن مثلما قال: فأكرمه ويقول: ربي أكرمني؟ فيجيب الرازي قائلًا: " في قوله : (أكرمن) صادق، وفي قوله: (أهانن) غير صادق فهو ظنّ قلة الدنيا وتقتيرها إهانة، وهذا جهل واعتقاد فاسد، فكيف يحكي الله سبحانه ذلك عنه."[١]، ولم يقل في القسم الثاني (ربه) وذلك قد يكون لسياق الإهانة الذي ينطق بها الكافر، فلم يناسب هذا السياق ذكر (ربه).

وكذا الحال في قوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ الشورى: ٤٨، وهنا يظهر المعنى السابق من جحد الإنسان بنعم الله عليه، وأيضًا التوكيد يظهر هنا مثلما سبق، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ الزخرف: ١٤ – ١٥، فتجد الكفر هو ما وصف الله به الإنسان،

---

[١] : انظر: مفاتيح الغيب ١٥٦/١٦-١٥٧

ولكن البناء اختلف؛ ففي الآية الأولى (كفور) والآية الثانية(كفور مبين)، وتجد في قوله تعالى:﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴾ عبس: ١٧، كان البناء (ما أكفره).

بتحليل هذه الآيات تجد:

١) في قوله تعالى في آية الشورى (فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ)، إنّ +اسمها+ خبرها، والخبر على صيغة (فعول)، " لا يحزنك إعراضهم عن دعوتك فقد أعرضوا عن نعمتي وعن إنذاري بزيادة الكفر"[١]، وهذه الآية جاءت حكاية من الله لنبيه عن المعرضين، فقد تكون الآية موجهة لخصوص الكفار، أو عامّة ومطلقة للبشر، ويكون الفرح مطلقا للجميع عند حصول النعمة، إلّا أن الكفر مخصص بالبعض فقال: وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ ، وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ، فالقول الأول كان مطلق الإنسان، والقول الثاني تكون السيئة بما كسب الإنسان، وهذا ليس لجميع البشر، فيكون هذا الإنسان الكفور هو على القول الثاني.

٢) وفي قوله تعالى في الزخرف (إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ) إنّ +اسمها +خبرها + صفة، والخبر على صيغة(فعول) والصفة اسم فاعل لغير ثلاثي، والكفر المبين بسبب جعل الكفار لله بنات وهو قوله: (أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ١٦ ﴾ الزخرف: ١٦، والجعل هنا:" الحكم بالشيء والقول ، كما تقول : جعلت زيدا أفضل الناس ، أي وصفته

[١] : المصدر السابق ٢٦/١٣٤

وحكمت به"[١]، فأصدروا حكمًا قاطعا وأشركوا بالله علنًا، فكانوا مبينين في كفرهم، فجاء الوصف لهم بالكفر المبين، فالصيغة(فعول) للكثرة، و"مبين" لبيان شدة كفرهم، وكان الوصف باسم الفاعل لأنّ العمل هذا بسبب ما قدمت أيديهم وبما فعلوه، فكان الوصف للإنسان الكافر بكفره المبين.

٣) قوله في سورة عبس (قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ)، فعل مبني للمجهول+نائب فاعل+ صيغة تعجب، يوحي الفعل(قُتل) بالدعاء، ولكن الخطاب من الله، والدعاء يكون لله وليس من الله، فيخرج ابن عاشور بالقاعدة قائلا: " والدعاء بالسوء من الله تعالى مستعمل في التحقير والتهديد"[٢]، فإن كان القول صحيحًا فيجب أن يكون الإنسان المذكور هو الكافر ولا يفيد العموم؛ فكيف يقول ابن عاشور: " والذي عرف بقوله : (من استغنى) يشمله العموم الذي أفاده تعريف (الإنسان)"[٣]، فهل يكون التحقير لعامة البشر؟ فتجد الرازي يوضح التحقير في الإنسان بقوله:" حقارة حال الإنسان في الابتداء والانتهاء"[٤]، وهذا لأنه يتعجب من الإنسان الذي خلق من نطفة ونهايته القبر، فيكون الأسلوب المستخدم في قوله : قُتل الإنسان، أسلوب زجر، وأن الحكم من الله نافذ ومقضيّ.

---

[١] : البغوي ٣٠٩/٧

[٢] : التحرير والتنوير ١٢١/٣١

[٣] : المصدر السابق

[٤] : مفاتيح الغيب ٥٥/١٦

واستخدام أسلوب التعجب فيما سبق من بيان حال النبي عندما أعرض عن الأعمى، فلو قال: قتل الإنسان إنه كفور، لكان هذا تقرير لعامة البشر بالكفر، ولكن الكفر هنا اقتصر على من كانوا مع الرسول واستغنوا عن كلامه –من كفار قريش–، فكانت لمن استغنى، وهنا يكون مفاد التعجب ليس بسبب الجهل بالشيء واستغرابه؛ بل قد يكون لبيان حالهم وما جاؤوا به من عظيم الأفعال، ويرى الرازي أن ما جاء بعد الآية هو مراتب الإنسان، فيقول: " واعلم أن لكل محدث ثلاث مراتب أوله ووسطه وآخره، وأنه تعالى ذكر هذه المراتب الثلاثة للإنسان"[١]، وهذه المراتب هي في قوله: ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾: ١-﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ ٢- ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ﴾ ٣+٤+٥﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾، فهذه خمس مراحل لحياة الإنسان.

وعلى وزن(فعول) وصف الإنسان بـ(الكنود) وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ ﴾ العاديات: ٦، "هو الجحود لنعمة الله تعالى ، وعن الحسن أيضا : هو اللائم لربه، يعد السيئات وينسى الحسنات وقال الفضيل: هو الذي تنسيه سيئة واحدة حسنات كثيرة، ويعامل الله على عقد عوض."[٢]، فيكون هو من لا يشكر الله ويذكره في المصائب ولا يذكر نعمه عليه.

---

[١] : مفاتيح الغيب ٥٥/١٦

[٢] : البحر المحيط٥٠٥/٨

وقوله (كنود) تشبه (كفور) بالمعنى، إلا أن كند في اللغة: " كفر النعمة، والكنود: الجحود، وقيل هو الذي يأكل وحده، ويمنع رِفده ويضرب عبده، وأرض كنود لا تنبت شيئًا، والكنود العاصي بلغة كندة ويقال للخيل الكنود."[1]

فالكنود صفة الكافر الجحود، وكأنها أعمّ وتشمل المسلم الذي قد ينسى الشكر أحيانًا، والكافر المتناسي لشكر الله، ويناسب هذا اللفظ السياق العام من قسم الله بالخيل العادية، ومثلما جاء في اللسان أن الصفة كنود تطلق على الخيل فناسب وجودها هنا مع السياق العام، وتجد التأكيد رافقها مثلما جاء سابقا مع كفور.

ويقول الشعراوي فيها: "يتمثل كنوده وجحوده في مظاهر شتى تبدو منه أفعالًا وأقوالًا فتقوم عليه مقام الشاهد الذي يقرر هذه الحقيقة وكأنه يشهد على نفسه بها"[2]، وكانت الآية في قسم الله تعالى وتلاها قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ العاديات: ٧.

ومن صفات الإنسان في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٢، أنه (ظلومًا، جهولا)، والأمانة التي عُرضت وعجز كل شيء عنها وحملها الإنسان تجد فيها أقوالا، فيقول ابن كثير: "قال العوفي ، عن ابن عباس : يعني بالأمانة: الطاعة، وعرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم، وقال علي بن أبي طلح ، عن ابن عباس، الأمانة: الفرائض، عرضها الله على السماوات والأرض والجبال، إن أدوها أثابهم، وإن ضيعوها عذبهم، وقال قتادة :

---

[1] :لسان العرب ٣/٣٨١

[2] : تفسير جزء عم للشعراوي ٤٨٧

الأمانة: الدين والفرائض والحدود وقال بعضهم: الغسل من الجنابة، وقال مالك عن زيد بن أسلم قال: الأمانة ثلاثة : الصلاة، والصوم، والاغتسال من الجنابة"[١]، ولا تجد بين هذه الآراء تناقضًا لأنها كلها مما لزم به الإنسان، ويخالف ابن عاشور الرأي بكون الإنسان هو آدم، ويرى "أن المراد بالإنسان نوعه؛ لأنه لو أريد بعض أفراده ولو في أول النشأة لما كان في تحمل ذلك الفرد الأمانة ارتباط بتعذيب المنافقين والمشركين، ولما كان في تحمل بعض أفراده دون بعض الأمانة حكمة مناسبة لتصرفات الله تعالى"[٢]، فيكون المقصود من تعريف الإنسان نوعه وجنسه، وتجد رأيًا جديدًا في الإنسان عند البقاعي فيقول: " أي أكثر الناس والجن"[٣]، فكان هذا اللفظ يحمل الإنس والجنّ على تغليب وكثرة الإنس، وهذا الرأي قد يغير كثيرًا من الاحتمالات في كل الآيات التي ذكر فيها الإنس والجن، لأنه بهذا القول قد جمع بين قومين بلفظ أحدهما وهذا قد يعمق الدلالة.

أمّا الذي عُرض فأمر عظيم من الطاعات والفرائض، والعرض لغة: " عرض الشيء عليه: أراه إياه"[٤]، فالذي عُرض على الإنسان كان شيئًا يعرفه ويقدر عليه، فكأنه عرض عليه

الأمانة ليقبلها أو يرفضها وذلك في مطلق الإرادة منه، ولمعرفته بالقدرة عليها، فيقول البقاعي: " فالمعروض عليه متمكن من المعروض قادر عليه"[٥]، وهذه القدرة على

---

[١] : ابن كثير ٤٨٩/٦–٤٩٠ بتصرف
[٢] : التحرير والتنوير ١٢٦/٢٣
[٣] : نظم الدرر ١٤٣/٦
[٤] : لسان العرب ١٦٦/٧
[٥] : نظم الدرر ١٤١/٦

تحمل الأمانة وعدم خيانتها موجودة عند الإنسان بكل أحواله، والخائن لها هو الكافر، فالطاعات أمانة اختار الإنسان تأديتها وردها لله.

وقوله تعالى: السماوات، والأرض، والجبال، ولم يذكر غيرها من مخلوقات مثل المياه والغيوم والمعادن وغيرها من مقومات الحياة ؛ وذلك لأنه قال: السماوات وهي تحمل ما فيها من كائنات ومخلوقات، والأرض وما فيها من أنهار ومياه ومخلوقات، واختار الجبال مع أنها جزء من الأرض، فالجبال عظيمة وكبيرة وفيها من السعة والاختلاف عن تضاريس الأرض الشيء العظيم، فكان التفصيل من أجزاء الأرض العظيمة بذكر الجبال، فجاء التعميم ثمّ التفصيل.

قال تعالى: أبين أن يحملنها، ولم يكتف بهذا القول بل زاد عليه(وأشفقن منها)، وأبى لغة: " أبى الشيء كرهه، والإباء أشد من الامتناع"[١]، فكانوا يأبون حمل الأمانة بشدة ويمتنعوا عن تأديتها، ولم يكن ذلك فقط بل أشفقن منها، وأشفق لغة تعني: " الشّفق: الخيفة، وأشفقت منه: حذرته"[٢]، فلو اكتفت السماوات والأرض بالإباء عن حمل الأمانة لكان الظاهر من ذلك التكبر والمعصية، ولكنّ السبب في هذا الإباء هو الإشفاق منها؛ أي حذرًا وخوفًا من غضب الله إذا لم تؤد الأمانة على وجهها المطلوب.

---

[١] :لسان العرب ٥+٤/١٤

[٢] : لسان العرب ١٧٩/١٠

ويختلف هذا الإباء عن إباء إبليس عندما أمره الله بالسجود لآدم، ويضع الرازي وجوه هذا الاختلاف في تفسيره، ويخلص بأن الإباء هناك تكبرٌ وهنا استصغارٌ.[١]

ولكن الإنسان حملها راضيًا بها بإرادته، وبذلك كان (ظلومًا) " والظلم : الاعتداء على حق غيره وأُريد به هنا الاعتداء على حق الله الملتزم له بتحمل الأمانة ، وهو حق الوفاء بالأمانة"[٢]، فكان ظالمًا لنفسه شديد الظلم لأنه قد لا يتمكن من تأديه حق الله، فعزته وثقته بالقدرة على الوفاء كان فيها ظلم له لنفسه، وهذا يخرج منه من كان مؤديًا لحق الله وفي بالأمانة، وكأنه أظلم واسودّ عندما عجز عن تأدية الواجب وتجد هؤلاء يوم القيامة وجوههم مظلمة مسودّة لقوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾آل عمران: ١٠٦.

أمّا (جهولا) فتعني أنه جاهلًا ما يترتب عليه من عقاب لفعله في خيانة الأمانة، وذلك لأنه ظن نفسه قادرًا على حمل هذه الأمانة ولكنه ظلم نفسه لجهله بالتصرف الصحيح في الحفاظ على الأمانة، وهنا يقف الرازي وقفة مطوّلة يبحث في ظلم الإنسان الجاهل بالأمانة لنفسه.[٣]

وبدأت الآية بالتأكيد حتى لو جاء من يظهر الشك في الذي يُقال عن الأمانة يجد التأكيد سابقًا له ومدحضًا لشكه.

---

[١] : انظر: مفاتيح الغيب ١٣ /٢٠٢
[٢] :التحرير والتنوير١٢٨/٢٣
[٣] : انظر: مفاتيح الغيب ٢٠٤/١٣

في سورة القيامة ورد لفظ الإنسان ست مرات، إحداها كانت في سياق الخلق سابقًا وهي قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ القيامة: ٣٦ – ٣٧، والآيات هي:

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ القيامة: ٣ – ١٤، يقسم الله بيوم القيامة، ويأتي جواب القسم بقوله: (أيحسب الإنسان)، والإنسان المذكور هنا هو الكافر الذي ينكر قدرة الله على جمع عظامة وبعثه من جديد، وهذا ما جاء عند معظم المفسرين[١]، فهذا الإنسان يسأل ويكثر السؤال عن البعث ويوم القيامة، وهو الفاجر الذي يبحث عن معاصيه وشهواته ولا يؤمن بالعقاب.

فيتساءل متعنتًا منكرًا مستهزئا بوقوع ذلك اليوم، ولكنه واقع وهذا الإنسان نفسه سيبحث عن مفرٍ وملجأ من العذاب وهو شاهد على نفسه بما كسب، وما كان حاله إلا أنه كان " يريد الإنسان أن يقدم فجوره فيما بين يديه من الأوقات، وما يستقبله من الزمان، فيقدم الذنب ويؤخر التوبة"[٢]، وهذا يحمل وجهين؛ إمّا أنه كان يثبت بعد الاستفهام (أيحسب) أو أنه كان يستفهم من جديد.

[١] : انظر: البحر المحيط ٣٨٣/٨ ذكر الآراء وقصة لربيعة بن مضر

[٢] : فتح القدير ١٥٥٨/١

وهذا الفجور " أصله الميل عن الحق، فيصدق على كل من مال عن الحق بقول أو فعل"[١]، فيكون متأملا بالحياة ناسيًا لطاعة الله، وهذا ينتهي إلى مرحلة القيامة التي يبحث فيها عن المقر، ويشهد على نفسه.

فالآيات مقسمة إلى مراحل يمر بها الإنسان، وهي:

المرحلة الأولى :أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ (الآخرة)← الكافر

المرحلة الثانية: بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ (الدنيا)← الكافر

المرحلة الثالثة: يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ (الآخرة) يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (الآخرة)← النادم

المرحلة الرابعة: بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ← (الآخرة)اللائم النادم

يكون في هذه المراحل متغيرًا، فتجده عاصيًا متكبرًا، ثم مستهزئا، وبعدها نادمًا، ثمّ لائمًا نفسه ونادمًا ويشهد على نفسه.

وانظر للأفعال السابقة لكلمة الإنسان؛ يسب، يريد، يقول، يُنبأ، بصيرة (تحمل معنى يشهد على نفسه)، فتكون أفعالا مضارعة، وتحمل الاستمرارية في معصية الإنسان مع استمرار الحياة، والاستمرار في محاولة الهرب مع استمرار العذاب، والاستمرار لوم نفسه وشهادتها عليه.

فهذا كله سرد وحكاية لحال الإنسان الكافر، ومما جاء فيه ذكر لفظ الإنسان ومشابه للسياق آنفًا قوله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ

[١] : المصدر السابق

﴿ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾مريم: ٦٦ – ٦٧ فتعجبهم هذا من إعادة الحياة إليهم متكرر في كتاب الله، وذلك لكثرة المنكرين للبعث، وجاء بأساليب مختلفة، فسبق وكان استفهامًا، وهنا تعجبٌ فيه استهزاء ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الرعد: ٥، فهم الكفار لاشك، وأمّا في قوله: لسوف أخرج حيًا، فيقرّ الله بعدها أنه لم يك شيئا وسيعود لا شيء.

وفي قوله (الإنسان) رواية بأنه "أبي بن خلف الجمحي"[١]، وهو كافر من منكري البعث، فكان الإنسان هنا مخصصًا للكافر وأمثاله، وليس جنس البشر كلهم.

وفي ذالك اليوم مشاهد للإنسان، وهي مشاهد عذابه، فيقول تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾ النازعات: ٣٤ – ٣٥، وفيها مشهد الكافرين والمؤمنين، وذلك في قوله: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ النازعات: ٣٦ – ٤١

في هذه الآيات الكريمة يذكر تعالى حال مَن " تجاوز الحد في العصيان، قيل: نزلت في النضر وابنه الحارث ، وهي عامة في كل كافر آثر الحياة الدنيا على الآخرة، وروي عن يحيى بن أبي كثير قال : من اتخذ من طعام واحد ثلاثة ألوان فقد طغى. "[٢]

[١] : انظر البغوي ٥٤٥/٦

[٢] : الجامع لأحكام القرآن ١٧٩/١٩

وفي هذه الآية تبيّنت المقابلة بين قوله تعالى:(طغى/خاف مقام ربه) وقوله: (آثر الحياة الدنيا/نهى النفس عن الهوى)، فما العلاقة بين كل جزء من أجزاء هذه المقابلة؟ تجد في بداية القول (أمّا) فيتبادر إلى الذهن أن هناك تفصيل لشيء سابق وهو قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾، ففي ذلك اليوم ينقسم الناس فريقين؛ فريقًا طغى وآثر الحياة الدنيا واتبع هواه، وفريقًا خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.

وبالنظر إلى العلاقات الرأسية والبدائل اللفظية للمقابلة السابقة تجد أن كلمة (طغى) التي تعني: "طغى يطغى طغيًا: جاوز القدر وارتفع وعلا بالكفر"[1]، ولم يقل تجاوز أو لم يخف أو عصى، وذلك لأنّ الدلالة في كلمة طغى تحتمل المجاوزة والعصيان وعدم الخوف وعدم المبالاة بالعاقبة، فقابلها تعالى بقوله: (وأمّا من خاف مقام ربه)، فمن يخاف مقام ربه ويمنع نفسه عن تجاوز حدود الله، فهو ليس بطاغٍ ولا عاصٍ، فكانت كلمة طغى تساوي في دلالتها جملة: لم يخف مقام ربه، وتجد أن المقابل لها كان (وأمّا من خاف) فالطاغي لا يخاف شيئًا ولا يحسب حسابًا للآخرة فلا يستخدم عقله ولا يمنع نفسه عن المعاصي بل يزيد فيها، فلم يقل لم يطغ بل قال (يخاف) لشدة ردع المؤمن وخوفه وتقواه.

وحاله أيضًا بأنه (آثر الحياة الدنيا)، ففضل الحياة الفانية على الآخرة الباقية واتبع هواه فيها؛ لأنه طاغٍ لا يستعمل عقله، فبالتالي لا ينظر للآخرة ولا يرى إلّا الحياة التي يعيشها، وثمّ هذا الإيثار للحياة الدنيا على الآخرة فيه اتباع للشهوات وللهوى، بالمقابل من

---

[1] : لسان العرب١٥/٨

خاف مقام ربه يوم القيامة يعمل على منع هواه من السيطرة عليه، وينهى نفسه عن اتباع هواه الذي يؤدي به إلى عصيان ربه، فكان هذا العدول اللفظي في الصورة لمن يطغى ولمن يخاف ربه غاية البلاغة، فقوله :

فأمّا من طغى + وآثر الحياة الدنيا = فإن الجحيم هي المأوى

وأمّا من خاف مقام ربه + ونهى النفس عن الهوى = فإن الجنة هي المأوى

فإنّ الطغيان = عدم الخوف من الله/ وإيثار الحياة الدنيا = اتباع الهوى ← فالدنيا طريق الهلاك.

وهذه الحال في يوم القيامة جاء في قوله: ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ الفجر: ٢٣، " يومئذ يتذكر الإنسان تفريطه في الدنيا في طاعة الله، وفيما يقرب إليه من صالح الأعمال (وأنّى له الذكرى) يقول: من أي وجه له التذكير"[١]، فيندم على ما قام به من أعمال في حياته، وقوله تعالى: أنّى، هو أسلوب استفهام للاستبعاد[٢]، وهو يفيد الاستنكار والاستبعاد والتعجب منهم.

وقوله (جيء) ولم يقل غيرها من البدائل، منت مثل: أتى، أو حضر، أو لم يقل وجاءت جهنم، فكان الفعل غير مسمى الفاعل، وذلك لأن ما جاء عن النبي أنه قال: " حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أخبرنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي عن العلاء بن

---

[١] : الطبري ٤٢١/٢٤

[٢] : انظر: روح المعاني ١١٥/٤، التحرير والتنوير ١٦١/٤

خالد الكاهلي عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها"[١]، وسبق القول في الصفحات السابقة التحليل لكلمة جاء واختيارها في مواطن العذاب.

في قوله : يتذكر، تجد دلالة في المعنى اللغوي للكلمة، فالكلمة من الفعل (ذكر) وتعني في اللغة: " الذكر: الحفظ للشيء والذكر: شيء يجري على اللسان، والذكرى نقيض النسيان"[٢]، فالذكر يحمل معنى جري الكلام على اللسان والنطق به، وعدم نسيانه لحفظه في الذاكرة، وهنا يؤكد هذه الدلالة قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾ الفجر: ٢٤، فهو ينطق بعد أن رأى العذاب فيتذكر قائلًا ومتمنيًا عدم فوات الأوان، وهنا يرى الرازي وجوهًا للمعنى الذي يتذكره الإنسان يومئذ.[٣]

وأسلوب الاستفهام أعطى دلالة حتمية على استحالة قبول الله لعودة وتوبة العاصي في ذالك اليوم، فعرض حاله قبل الموت وذلك في الآيات (١٥-١٦)، ثمّ بيّن ما يحدث في المرحلة الفاصلة بين الحياة الدنيا والآخرة في قوله في أهوال القيامة(٢١-٢٣)، وبعدها حال الإنسان بعد معرفة مصيره (٢٣-٢٦) وبعدها حال الإنسان المطمئن (٢٧-٣٠)، فكان الآيات تبحث في مراحل حياة الإنسان المختلفة.

---

[١] : الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، ط١،د.ت، دار الكتب العلمية ٦٠٤/٤

[٢] : لسان العرب ٣٠٨/٤

[٣] : انظر مفاتيح الغيب ١٥٩/١٦

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ الكهف: ٥٤، يتبين صفة أخرى من صفات الإنسان وهي كثرة الجدل، والجدل لغة: " جدْل: هو شدّة الفتل"[١]، ويبين تعالى أنه صرّف في القرآن للناس كل الأمثال ليؤمنوا به ولكنهم كانوا يجادلون فيما لا ينفعهم، وصرّف في اللغة تعني: "ردّ الشيء عن وجهه، وتصريف الآيات تبيينها"[٢]، فبين الله الوجه من الآيات وحقيقتها وتبيينها، والمثل عند المفسرين يحتمل وجهين؛ "أحدهما : ما ذكره لهم من العبر والقرون الخالية، الثاني: ما أوضحه لهم من دلائل الربوبية"[٣]، والوجهان تبيّنا في كتاب الله ، ومع هذا البيان ظل الإنسان يجادل ، وقيل: "أراد النضر بن الحارث وجداله في القرآن، قال الكلبي : أراد به أبي بن خلف الجمحي، وقيل : المراد من الآية الكفار، لقوله تعالى: ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الكهف: ٥٦، وقيل: هي على العموم، وهذا أصح "[٤]، والعموم هو ما يكون أصح لأنّ التعريف هنا جاء لبيان الجنس، وذلك الجدل طبيعة في الإنسان، ويدلل على ذلك الحديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم– مما جاء عنه: "حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني علي بن حسين أن حسين بن علي أخبره أن علي بن أبي طالب أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت النبي عليه السلام ليلة، فقال: ألا تصليان، فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله

[١] : لسان العرب ١٠٣/١١

[٢] :لسان العرب ١٨٩/٩

[٣] : الجامع لأحكام القرآن ٣٨١/١٠

[٤] : البغوي ١٨١/٥

فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلنا ذلك، ولم يرجع إلي شيئا ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول: وكان الإنسان أكثر شيء جدلا "[1]، فتستدل على أنّ الجدل لم يكن في الكافر فقط بل قد يجادل المؤمنون في أمور مختلفة، ومما سبق الجدل هو شدة الفتل، وهنا هو شدة الكلام والدفاع عن الأمر، إلا أنه في الآية السابقة كان جدلا في باطل، وترتب عليه حكم عام على الجميع من الإنس.

ومن أحكام الله على الإنسان قوله تعالى:﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ العصر: ١ – ٢ ويستثنى من الخاسرين ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ العصر: ٣، فيكون الحكم بالخسران خاصًا، وقد يحمل لفظ (الإنسان) الجنس، وعلى هذا " كان معنى الخسر هلاك نفسه وعمره، وإن حملنا لفظ الإنسان على الكافر كان المراد كونه في الضلالة والكفر إلا من آمن من هؤلاء ، فحينئذ يتخلص من ذلك الخسار إلى الربح"[2] وذلك لأن المؤمن يكون في سعادة وراحة وفوز أبدي في النهاية على عكس الكافر، والقول الثاني يكون الخسران لكونه كان ضال وكأنه حالة مؤقتة تزول بعد الإيمان فالأول خاص بالدنيا، والآخر بالآخرة.

وعلى القولين يكون الخسر محتمًا على بعض الناس، وذلك لوجود استثناء، وبذلك "يتقرر الحكم تماما في نفس السامع مبينا أن الناس فريقان : فريق يلحقه الخسران، وفريق لا يلحقه شيء منه، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يلحقهم الخسران بحال إذا لم يتركوا شيئا

---

[1] : العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط١، ١٩٨٦، دار الريان للتراث حديث ١٠٧٥ ص ١٥

[2] : انظر:؛ مفاتيح الغيب ١٦/٨٣-٨٤

من الصالحات بارتكاب أضدادها وهي السيئات"[١]، والخسر لغة: "ضلّ وهلك، ولفي خسر: لفي عقوبة بذنبه"[٢]، فالفعل إرادي وذلك لأنه نتيجة لسبب؛ وهذا السبب هو ما اختاره الإنسان، إلا من اختار الإيمان وعمل الصالحات وتواصى بالحق وتواصى بالصبر.

وهنا تجد بين أحوال الإنسان الرابح وعطفها على بعضها دلالة، فالإيمان يشمل عمل الصالحات، وعمل الصالحات يكون بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فكان الترتيب وفق الأعم والأشمل إلى الأخص، فمن يقوم بهذه الأفعال فاز وربح، وهناك من قال بأنّ العطف للمغايرة[٣] فلا يحتمل أن يكون الإيمان بالعمل والتواصي، وقد يكون رأيًا صائبًا إلا أنّ الإيمان هنا مع العطف على ما يليه كان يلزم وجود المعطوفات فيه.

والخسران عظيم ومبين، لأن "تنكير (خسر) يجوز أن يكون للتنويع، ويجوز أن يكون مفيدًا للتعظيم والتعميم في مقام التهويل وفي سياق القسم"[٤]، وهذا يقوله تعالى: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ الحج: ١١، والتواصي بالحق والصبر يساوي عمل الصالحات؛ فمن يوصي بالحق وهو الطاعة كان قد عمل صالحًا، ومن يوصي بالصب كان قد عمل صالحًا، فكان العمل الصالح يقسم إلى قسمين اثنين؛ الحق والصبر، واختيار هذه الوصايا لا غيرها لأنّ الحقّ هو القرآن، لقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾الإسراء: ١٠٥، فكان القرآن هو الحق، والتواصي به هو من عمل الصالحات، ويبقى القسم الثاني للربح هو

---

[١] : التحرير والتنوير ٥٣١/٣١

[٢] : لسان العرب ٢٣٨/٤

[٣] : انظر: إيضاح القرآن بالقرآن ٢٤/٩

[٤] :التحرير والتنوير ٥٣٣/٣١

التواصي بالصبر، فتجد من يعمل الصالحات ويقرأ القرآن ويعمل به، ولكن عند المصائب يخسر كل ما عمله ولا يصبر على ما أصابه فيكون خاسرًا.

وفي السياق ذاته من توصية الإنسان قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ العنكبوت: ٨، وقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ لقمان: ١٤ – ١٥، وقوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ الأحقاف: ١٥ هذه الآيات من متشابه القرآن، وبحث الكرماني(٥٠٥هـ) في الدلالة بين الآيات المتشابهات في القرآن، فيقول في هذه الآيات: "قوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ)، وفي لقمان (وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ)، وفي الأحقاف (﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ)، الجمهور على أن الآيات الثلاث نزلت في سعد بن أبي وقاص، وأنها في سورة لقمان اعتراض بين كلام لقمان لابنه ولم يذكر(حسنً) في لقمان لأن قوله بعدها (ان اشكر لي)، قام مقامه، ولم يذكر حملته في

العنكبوت موافقة لما قبلها من الاختصار، فذكر جميع ما يقع بالمؤمنين بأوجز كلام وأحسن نظام"[١]، وهذا التحليل للسياق العام للآيات، وبالنظر إلى أسباب النزول تجد أن:

١) سبب نزول الآية(العنكبوت٨) قول ابن كثير في تفسيره: "وقال أبو داود الطيالسي :حدثنا شعبة ، أخبرني سماك بن حرب قال : سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال: قالت أم سعد لسعد: أليس قد أمر الله بطاعة الوالدين، فلا آكل طعاما، ولا أشرب شرابا حتى تكفر بالله . فامتنعت من الطعام والشراب، حتى جعلوا يفتحون فاها بالعصا، ونزلت هذه الآية "[٢].

يعطي هذا السبب تحديدًا لـ(الإنسان)، "فبين الله بهذه الآية ما على المسلم في معاملة أنسبائه من المشركين، وخص بالذكر منها نسب الوالدين لأنه أقرب نسب، فيكون ما هو دونه أولى بالحكم الذي يشرع له "[٣]، فالإنسان المقصود هو الذي يكون له والد أو والدة على غير دين الإسلام، فله معاملة خاصة معه؛ فيوصيه تعالى بالحسن للوالدين إلا إن حاولا أن يجعلاه مشركا فله معهم شأن آخر.

والقصة السابقة تبين محاوله أم سعد جعله يكفر، فكان المحور الرئيس في الآية عند قوله : (وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ)، فيتوجب عليه عم اطاعتهما، على هذا تكون الوصية بالحسن لهما على كل حال، أمّا اختيار قوله: (حسنا) ؛ لأن الحسن لغة: " ضد

---

[١] :الكرماني، برهان الدين أبو القاسم محمود بن حمزة ت٥٠٥هـ:البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق: السيد الجميلي ط١. د.ت مركز الكتاب للنشر ص١٤١

[٢] : ابن كثير ٧/٢٨٠

[٣] :التحرير والتنوير ٢١/٢١٢

القبح، والحُسن شيء من الكل، حُسنا: ما يحسُن"[١]، وهي مصدر للفعل (حسَن) فكان المطلوب أن يحسن لهما قدر استطاعته فقد تكون على صيغة المبالغة من (فَعْل)، فيكون الحسن لهما والإعراب " وصينا الإنسان بوالديه بحسن ، بنزع الخافض"[٢]، ولا يتفق قول الحسن على أنها نائب مفعول مطلق ناب عن صفته، فبذلك سيكون تقديرها: إيصاءً ذا حسن، وهنا المراد للوالدين وليس صفة الوصية.

وربط الله في قوله ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الإسراء: ٢٣

إخلاص العبادة له ببر الوالدين، وأن " إخلاص العبادة للوالدين لا بد أن يؤدي إلى الإحسان إلى الوالدين، كما أن الإحسان إلى الوالدين يؤدي حتمًا إلى الإخلاص العبادة لله، لأن كليهما ينبني على فكرة تذليل النفس وتمهيدها لرد الفضل إلى صاحبه الأول سواء كان المنعم الأول الله –عز وجل– أو المنعم الثاني من البشر وهما الوالدان"[٣].

وقوله: جاهداك، فيه نوع من التكلّف؛ لأن المجاهدة فيها بذل جهد في العمل، فيتطلب من الإنسان الصبر على كلام والديه، إلا إن حاولا جاهدين واستخدما طرقًا فيها نوع من الإجبار ليشرك بالله، فعليه أن (لا تطعهما) فهو قول صريح، لا تطع يا إنسان والديك في المعصية، فيقول تعالى: (لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ)، وانظر لقوله (ما ليس لك به

---

[١] : لسان العرب ١٣/١١٤+١١٦

[٢] : انظر: التحرير والتنوير ٢١/٢١٤

[٣] : الكيلاني، إيمان: بحث (وقضى ربك) دراسة أسلوبية، مجلة دراسات –الجامعة الأردنية م٣٦، ص٧٢٠ ، ٢٠٠٩

علم)، فالشرك بالله أمر عظيم الخطورة، ولكن الشرك بالله بشيء لا علم لك فيه فهو أمر أعظم خطورة، "مشيراً بنفي العلم إلى انتفاء المعلوم، فما ليس لك به علم أصلاً بأنه يستحق الشركة فإن من عبد ما لم يعلم استحقاقه للعبادة فهو كافر"[١]، فيأمره بعدم إطاعتهما ولا يأمره بردعهما أو تركهما أو عصيانهما عصيانا قاسيًا؛ فالأمر الصريح (فلا تطعهما) لأن الطاعة للوالدين واجبة وهنا في هذه الحالة لا طاعة لهما بما يطلبانه تحديدًا من معصية الشرك بالله.

والعلم عند الله بما سيصيران إليه، فيقول تعالى: (إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) ففيها ردٌ له بما بدأت به الآية من الوصية بطاعتهما وهو أعلم بما كان يعمل الإنسان، ولكنه خاطب بصيغة الجمع؛ "فأجازيكم ثوابا على عصيانهما فيما يأمران ، وأجازيهما عذابا على إشراكهما"[٢]، فلما بدأت الآيات كان الخطاب للإنسان ثمّ الوالدين والنهاية بالجزاء للجميع.

جاءت الآية في سياق من يعمل الصالحات فسبقت بالذين يعملون الصالحات وتلاها آية فيمن يعمل الصالحات، والبارّ بوالديه يعمل الصالحات مع والديه مع أنهما يكفران بالله فيقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ العنكبوت: ٧ ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾ العنكبوت: ٩.

---

[١] : انظر: الدر المنثور ٥/٥٣٩

[٢] : التحرير والتنوير ٢١/٢١٥

٢) " ووصينا الإنسان بوالديه :هاتان الآيتان اعتراض بين أثناء وصية لقمان، وقيل: إن هذا مما أوصى به لقمان ابنه، أخبر الله به عنه؛ أي قال لقمان لابنه: لا تشرك بالله ولا تطع في الشرك والديك، فإن الله وصّى بهما في طاعتهما مما لا يكون شركا ومعصية لله تعالى "[١]، ولم يبين الله في هذه الآية الوصية بالإحسان أو الحسن، ولكنه قال :والديك، وتلاها: حملته أمّ، ولم يكن للأب ذكر مع أنّ الوصية شملته، فالأمّ لها الذكر هنا أكثر من الأب، فالوصية بها، والحمل لها، والرضاعة لها، فكانت ثلاثة للأم مقابل واحدة للأب؛ وقد يوافق هذا قول النبي- صلى الله عليه وسلم-: "حدثنا محمد بن بشار أخبرنا يحيى بن سعيد أخبرنا بهز بن حكيم حدثني أبي عن جدي قال: قلت: يا رسول الله من أبر؟ قال: أمك، قال: قلت: ثم من؟ قال أمك، قال: قلت: ثم من؟ قال: أمك، قال: قلت: ثم من؟ قال ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب"[٢]، الأمر له بإطاعة الوالدين وعدم العصيان إلا في حالة مجاهدتهما له بالشرك -سبق شرح ذلك-، وجاء الأمر هنا بقوله: (فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّۚ)، فالمصاحبة لهما تكون بـ " إطعامهما وكسوتهما وعدم جفائهما وانتهارهما، وعيادتهما إذا مرضا، ومواراتهما إذا ماتا"[٣]، ولم يكتف بذلك بل بالمعروف، والمعروف لغة: " النّصفة، وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس، والمعروف اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس"[٤].

---

[١] : الجامع لأحكام القرآن ٦٠/١٤

[٢] : الترمذي،محمد بن عيسى: سنن الترمذي، ط١، ١٩٩٦دار الغرب الإسلامي تحقيق: بشار معروف ج٢٧٣/٤

[٣] : البحر المحيط ١٨٨/٧

[٤] :لسان العرب ٢٤٠/٩

فكان الأمر بترك طاعتهما في المعصية، ومصاحبتهما بالمعروف من طاعة الله فيهما واتباع سبيل الإنابة إلى الله، وقوله: من أناب إليّ، هو النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، والجميع عند الله جزاؤه.

٣) في سورة الأحقاف، الوصاية من الله لهما بالإحسان؛ وسبق القول في معنى الحسن، وكان ذكر الأم مثلما سبق في لقمان، إلا أنه زاد على الحمل قوله: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾)، أمّا في لقمان فاكتفى بقوله: (﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ)، فالأبحاث العلمية كثيرة في تحديد مدة الحمل والرضاعة، وتجد المفسرين تنبهوا إلى أنّ القرآن لا باطل فيه؛ فالحمل في أقل مدة له يكون ستة أشهر، مع الرضاعة يكتمل العامان ثلاثون شهرًا[١]، ولو ذكر الحمل المتعارف عليه الذي تحمل معظم النساء مدته هي تسعة أشهر، لكانت النساء اللواتي يحملن أقل من ذلك لا يُقدّر له تعبهن في الحمل.

وحملته (كرهًا) لا يعني بدء الحمل فلا مشقة فيه، وإنّما " يريد شدة الطلق"[٢]، فكأنها مكرهة في حملها لما تعانيه من تعب عند وضع الجنين، والفرق بين الكره والضعف في الآية من لقمان، هو أنّ الكره فيه المشقة والتعب، والضعف ضعف جسدها وضعف الجنين

[١] : انظر الموقع العلمي الأمريكي: **http://psycnet.apa.org**
[٢] : مفاتيح الغيب /١٤(الأحقاف)

فكانا ضَعفين في جسد واحد، وتحملت إرادة الله لها بالحمل، والكره لغة: " الكُره: بالضم ما أكرهت نفسك عليه، وبالفتح ما أكرهك غيرك على فعله، وكل ما في كتاب الله من الكره جائز فيه الفتح، وهو المشقة"[١].

في الآيات الثلاثة تشابه لفظي يبدأ من قوله: ووصينا، ولكن الاختلاف كان في مقاطع من الكلام تلي التوصية، وعلى هذا تجد الآية (الأحقاف) لم تبين المعاملة مع الذين يشركون بالله من الآباء، والآية (لقمان) شملت ذلك ولكن لم يتبين فيها وجه التوصية بالإحسان، وذلك كله يصب في سياق كل آية؛ ففي الآية الأولى(العنكبوت) كان الخطاب لسعد وبيان وجه التعامل مع والديه دون بيان ما كانت الأم تعانيه من حمل ورضاعة فالسياق توجيه، والآية الثانية (لقمان) كان الحديث عن تقدير دور الأم رغم شركها بالله ومحاولة التعامل مع الوالدين ابتغاء الأجر، فيكون سياق توجيه ووضع الشفقة في قلب الأبناء على آبائهم، أمّا الآية الثالثة (الأحقاف) فكان فيها بيان رحمة الأم بولدها لما عانته من صعوبة في الحمل والرضاعة والتربية، والسياق هنا كان عامًا في حياة الإنسان كافة.

في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾ الانفطار: ٦، وتعني ما خدعك وجعل الباطل طريقك وغرّك حتى أضعت ما وجب عليك، فالخطاب بقوله : (يا أيّها) "النداء

[١] : انظر: لسان العرب ٥٣٤/١٣

للتنبيه تنبيها يشعر بالاهتمام بالكلام والاستدعاء"[1]، فلم يكن النداء حقيقيًا، وهذا الأسلوب تلا الآيات التي جاء فيها العذاب والتهويل، وذلك قد يجعل السامع والمتلقي يأخذ العبرة ويتعظ، وهو أسلوب اختصاص يدخل على المنادى المحلّى بـ(ال) التعريف.

وما سبقها كان في البعث والإنذار منه، ونداء الله جاء ليستيقظ العقل، والإنسان هنا هو الإنسان الكافر الذي غرّته الحياة الدنيا، وقوله(ما غرّك) ولم يقل (ما الذي غرّك) لأنّ لا شيء يغرّ ويلهي عن ذكر الله إلا ضعف الإيمان، فكان الوصول للغاية من الاستفهام دون رابط وصل أقوى.

ويبين بعدها فضل الله على الإنسان، وهي آيات كان فيها بيان الخلق وبيان كرم الله على الإنسان، مع كفر الإنسان به هو لم يقطع نعمه عنه وتركه ليتعظ ويستيقظ عقله النائم.

وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾ الانشقاق: ٦، الأسلوب نفسه في النداء، وهنا النداء كان جوابًا لـ(إذا)؛ فقوله: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ ﴾ الانشقاق: ١﴿ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ ﴾ الانشقاق: ٣، يعني: " إذا السماء انشقت وإذا الأرض مدت لاقيت ربك أيها الإنسان بعد كدحك لملاقاته"[2]، فكان قوله "فملاقيه" يدل على يوم انشقاق السماء ومدّ الأرض، فيرجح القول بأنها واقعة في الجواب، وقد يكون التقدير (فيا أيها الإنسان)، وهناك

[1] :التحرير والتنوير ١٧٤/٣١

[2] : التحرير والتنوير ٢١٩/٣١

من النحويين[١] من قال بأنه محذوف لعلم السامع به، ولكن لماذا تقدير الحذف مع وجود اللفظ المحتمل مذكورًا؟.

(الإنسان) يحتمل كونه جنس الإنسان، لأنّ الخطاب لم يختص بأحد من الكفار أو المؤمنين، وهذا لأنّ الكدح يعني: "عمل الإنسان لنفسه من خير أو شر، وهو الكسب والعمل بسعي ومشقة"[٢]، فهو يحتمل الخير والشر، ثمّ قوله في الآيات التالية يبين أنّ التفصيل للإنسان في عمله يكون جزاؤه أحد أمرين، وذلك لقوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ ﴾ الانشقاق: ٧﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ ﴾ الانشقاق: ١٠.

ويؤكد تعالى على حرص الإنسان على السعي، واختيار الكدح كان لدلالة العمل الدؤوب المستمر والذي يحمل مشقة، والأسلوب فيه تذكير للإنسان بأن عملك كله الذي تسعى فيه ستجد عليه الجزاء، و" قال الجمهور: الضمير في ملاقيه عائد على ربك"[٣]، والتركيب النحوي في الآية:

يا أيها الإنسان	إنك كادح إلى ربك كدحًا	فملاقيه
(أسلوب النداء)	(إن+اسمها+خبرها) +جار.مج [٤]+م.مطلق	ع.ربط+(ج.شرط)

---

[١] : انظر: المحرر الوجيز ١٦/٥

[٢] : لسان العرب ٥٦٩/٢ بتصرف

[٣] : البحر المحيط ٤٤٦/٨

[٤] : جا: جار ، مج: مجرور

وهذا التركيب البسيط الواضح مؤثر لوجود النداء فيه، فيستجدي من الإنسان مشاعره، وهذا يلفت إلى الآية في تحمّل الإنسان الأمانة مع أنه ظلوم لضعفه، ويتطلب منه كدحًا ليلقي جزاءه، فالعاقل يبحث عن الكدح الذي يجعله ينال الكتاب بيمينه.

و مما جاء في الإنسان قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ الإنسان: ١، الإنسان هو (آدم) وهذا ما قال به المفسرون[1]، فيترتب على ذلك أنّ الآية التالية نزلت في الإنسان من بني آدم وهي قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ الإنسان: ٢، يذكر المفسرون قصة سبب النزول وأجمعوا على صحتها، فيقول القرطبي: "وروي عن ابن عباس : حين من الدهر قال ابن عباس في رواية أبي صالح : أربعون سنة مرت به، قبل أن ينفخ فيه الروح، وهو ملقى بين مكة والطائف وعن ابن عباس أيضا في رواية الضحاك أنه خلق من طين، فأقام أربعين سنة، ثم من حمإ مسنون أربعين سنة، ثم من صلصال أربعين سنة، فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة، وزاد ابن مسعود فقال: أقام وهو من تراب أربعين سنة، فتم خلقه بعد مائة وستين سنة، ثم نفخ فيه الروح "[2].

وهذا يثبت كون الإنسان في الآية المراد منه (آدم)، وفي الآية الثانية(جنس البشر)، والاستفهام ليس حقيقيًا، بل هو بمعنى قد، لتأكيد الخلق، "وقيل : هي بمنزلة الاستفهام ، والمعنى : أتى"[3]، وقوله: لم يك شيئا مذكورًا، أي:لم يكن شيئا فهو من تراب، وقد يكون الذكر هنا ليس الإخبار، فالذكر متعلق بالمادة التي خلق منها وليس فيه نفسه،

---

[1] : انظر تفسير سورة الإنسان: التحرير والتنوير، مفاتيح الغيب، الجامع لأحكام القرآن

[2] : الجامع لأحكام القرآن ١٠٧/١٩

[3] : انظر :الجامع لأحكام القرآن ١٠٧/١٩

"قال الفراء : كان شيئا ولم يكن مذكورًا "[1]، فالنفي حاصل للذكر وليس لكونه، وقد يكون هذا المعنى أسلم.

و(حين من الدهر) يظهر هنا زمنان مبهمان؛ فالحين فترة مبهمة وهي في اللغة: "الدهر، وقيل وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان كلها طالت أو قصرت"[2]، فكيف يذكر الله الحين ويكون جزءًا من الدهر، واللغة تبين أن الحين قد يكون الدهر؟، فيكون ترجيح الإجابة على أنّ الحين جزء من الدهر، وهذا ماسبق قوله عند المفسرين بأنه يساوي أربعين سنة.

ويعتمد القول على تحديد معنى الشيء؛ فالشيء هو الموجود أو المعنوي، وهنا كان الإنسان في وقت ما من الدهر –وهو أكبر مدّة أو أطول زمن– لم يكن شيئًا أراد الله وشاء أن يكون، فالشيء مختلف فيه، وهو كان شيئا لا يُذكر بالنسبة لغيره من الأشياء المذكورة أو المشرَّفة.

ورد لفظ (الإنسان) دون التعريف بـ(ال) في موضع واحد وهو قوله :﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ الإسراء: ١٣

فقد كان العرب قديمًا يستخدمون (الطيرة) للتفاؤل أو التشاؤم لأمر ينوي أحدهم فعله، ومن هنا تجد المفسرين اتجهوا في تفسيرهم لـ(طائره) بما كان العرب يقومون به، وهو الحظ، فيقول الرازي: " إن العرب إذا أرادوا الإقدام على عمل من الأعمال وأرادوا أن يعرفوا أن ذلك

[1] : فتح القدير ١٥٦٣
[2] : لسان العرب ١٣/١٣٣

العمل يسوقهم إلى خير أو إلى شر اعتبروا أحوال الطير وهو أنه يطير بنفسه، أو يحتاج إلى إزعاجه، وإذا طار فهل يطير متيامنًا أو متياسرًا أو صاعدا إلى الجو إلى غير ذلك من الأحوال التي كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل واحد منها على أحوال الخير والشر والسعادة والنحوسة، فلما كثر ذلك منهم سمي الخير والشر بالطائر تسمية للشيء باسم لازمه"[١]، وعلى هذا التفسير كون قوله: طائره كناية عن العمل.

يلزم تعالى المخاطب بعمله، فإن كان خيرا نزلت رحمته عليه، وإن كان شرا لقي عقابه على ذلك، وهذا المضمون ذُكر في الآيات السابقة من توضيح حال الإنسان وجزائه على أعماله.

يبعث التركيب اللغوي في المتلقي الترهيب من سوء عاقبة من لا يعمل صالحا، ولم يكن ذلك صراحة؛ فقوله: ألزمناه فيه دلالة تتضح من معنى (ألزم)، وتعني في اللغة:" لزم الشيء أي لا يفارقه"[٢]، فملازمة الشيء للإنسان تعطيه الإحساس بأنه مراقب، وهذا لا يعطيه الراحة ويراقب نفسه في كل عمل يقوم به.

سبق هذه الآية قوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾ الإسراء: ١٢، فوجود ما يشهد على المرء أو الإنسان غير نفسه يجعله يرتاب في تصرفاته، وكان ختام هذه الآية قوله: وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾، فالكتاب مسجل فيه كل ما كان يعمله.

---

[١] : مفاتيح الغيب ١٣٤/١١

[٢] : لسان العرب ٥٤١/١٢

يخبر الله الإنسان أن كل ما تقوم به من خير أو شر كان عالم به، والعنق عند العرب موطن جمال، والمرأة تتزين بنوع من الزينة تلازم عنقها وهي القلادة، وكأنّ عمل الإنسان ملازم للمرء كملازمة القلادة للعنق، " وخص العنق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق وغيرهما مما يزين أو يشين فجرى كلام العرب بتشبيه الأشياء اللازمة إلى الأعناق"[١] ، ومن عادة العرب إن آلفت طائرًا لازم عنقها بوقوفه على الأكتاف لدلالة الملازمة، فقد تحمل الآية هذا المعنى.

أمّا اختيار حرف الجر: في، لدلالة الملازمة وعدم اختيار حرف الجر الباء وهو الذي يدل على الإلصاق؛ فلأن الإنسان إن قام بعمل كان مسجلا عليه، وتقوم نفسه وأعضاء جسمه باحتوائه وحفظه لتشهد على الإنسان بهذا العمل يوم القيامة، فلزوم الطائر في العنق أي لزم العمل في العنق لبيان أن الأعمال تستولي على الإنسان وتصبح جزءا داخلا فيه، فحرف الجر (في) أفاد الظرفية ولا تناوب بين حرف الجر في والباء.

ولفظ (كل) يدل على الشمول، وكان الشمول لكل إنسان، ولم يتحدد فيه الكافر من المسلم، وهذا لأن كل إنسان سيلقى كتابه منشورا بأعماله الصالحة أو الطالحة.

الأصل التوليدي للجملة في الآية هو: ألزمنا كل إنسان طائرا في عنقه، ولمّا كان الاهتمام بشمول الآية لجميع الإنس وكون الجملة الاسمية تفيد ثبوت الوصف وهو الخبر إذا لم يكن فعلا، وهنا جاء الخبر فعلا فدلت على استمرار هذا اللزوم وثباته للإنسان وبذلك تقدّم قوله: كل إنسان.

---

[١] : البغوي ٨٢/٥

ويترتب على هذا اللزوم نتيجة وهي (وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا) فيلقى هذا العمل في الكتاب منشورا، " إخبار عن كون تلك الأعمال المعبر عنها بالطائر تظهر يوم القيامة مفصلة معينة لا تغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصيت للجزاء عليها"[1]، وينتشر هذا الكتاب ويُفتح.

و تتساءل: لماذا قال –تعالى– : يلقاه منشورًا، ولم يقل:كتابا منشورا؟، فتجد تفسير ذلك في كلمة (يلقاه)؛ فاللقاء هو الاستقبال، والإنسان في ذلك اليوم ينتظر معرفة مصيره، ولا يكون ذلك فجأة فيتلقى كتابه ويمسكه ثمّ يعرف مكانه في الجنة أو في النار، فيترتب على قوله : (ألزمناه) قوله: (يلقاه)، وتلا الآية قوله:﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ الإسراء: ١٤ – ١٥، فيقرأ ما نشر في الكتاب بعد أن يلقاه.

وذُكر الإنسان والشيطان في قوله:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفرقان: ٢٧ – ٢٩، عض الظالم على يديه كناية عن ندمه، وللآية سبب نزول

[1] : التحرير والتنوير ٤٧/١٦

ذكره المفسرون في عقبة بن أبي معيط ، وكان صديقا لأمية بن خلف الجمحي[١]، فأضلا بعضهما وندما لعدم اتباع طريق الرسول، واللام في (الرسول) إمّا أنها للعهدية أو للجنس، والأغلب أنها للجنس لأنها واقع كل من صاحب رفيق السوء وندم فيتمنى لو سلك طريق الرسول وهو طريق الإيمان، فيتحسر ويعض يديه، "قال أهل التحقيق : هذه اللفظة مشعرة بالتحسر والغم ، يقال : عض أنامله وعض على يديه "[٢].

يقول الظالم يومئذ: يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا، وقرئت : ياويلتي، بالياء، فينادي هالكته، ويقول تعالي قد آن أوانك، وهذا أسلوب ندم وحسرة، سبقه أسلوب تمني: يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا وتلاه أسلوب تمني (ليتني)، فتتابع الأساليب للدلالة على شدّة ندم الظالم، وفي موضع الندم تجده يدعوا على نفسه، أما في موضع التمني الأول لم يدع على نفسه وذلك لأنه كان في حالة الصدمة بسبب ما رأى من عذاب ثمّ انتقل إلى حالة الوعي دعا على نفسه بنداء الهلاك وتمنى لو لم يتخذ رفيق السوء خليلا.

فيبرر موقفه بقوله: لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ ، وهنا اللام مع قد والفعل الماضي أفادت تحقق الأمر ووقوعه، والذكر يحمل دلالة ما سبق من قوله :مَعَ ٱلرَّسُولِ

---

[١] : انظر: البغوي٦/٨٢، الجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٦

[٢] : مفاتيح الغيب ١٢ /٦٧

سَبِيلًا، أمّا في قوله: وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا، فيقول المفسرون[١] بمجيء هذا الكلام على لسان الظالم أو تعقيب من الله، لأنها تحمل قاعدة: خذلان الشيطان للإنسان.

و(خذل) تعني: " الخاذل: ضد الناصر، وخذله: ترك نصرته وعونه"[٢]، فيتوقع الخليل من خليله النصرة، إلا أنّ (فلان) المذكور في الآية خذل صاحبه ولم ينصره إلى طريق الحق، وهذا القول على أنّ (الشيطان) هو "كل متمرد عات من الإنس والجنّ وكل من صدّ عن سبيل الله"[٣] فيكون كل من تشيطن من الإنس والجنّ، وصيغة (فعول) سبق وذُكر أنها تحمل معنى المبالغة، فالشيطان لا يكون نصيرا أو مساندا للإنسان بل يتصف بالخذلان دائما.

وقد تكون هذه الجملة: وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا، من تمام قول الظالم أو تعقيب من الله على كل من اتبع الشيطان، والتركيب النحوي (كان واسمها وخبرها) يفيد تحقيق وقوع الأمر، وكونه حقيقة وقاعدة عامّة.

ويقول تعالى في الإنسان: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾ النجم: ٢٤ – ٢٥، والآية تعقيب من الله لمن يظن بشفاعة الأصنام، و(أم) هنا متصلة بجملة :﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ النجم: ٢١، وما بينهما من جمل هي جمل معترضة،

---

[١] : انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٦/١٣، مفاتيح الغيب ٦٧/١٢، البحر المحيط ٤٩٤/٦

[٢] : لسان العرب ٢٠٢/١١

[٣] :البغوي ٨٣/٦

والفاء في قوله: (فلله) متعلقة بالكلام ويبين الرازي وجوها في تعلقها بالآيات السابقة[١]، والراجح بين هذه الوجوه قوله : "هذه تسلية كأنه تعالى قال ذلك لنبيه حيث بين رسالته ووحدانية الله ولم يؤمنوا فقال لا تأس (فلله الآخرة والأولى) أي لا يعجزون الله "[٢]، أمّا التركيب اللغوي في الآية فتجدها مكونة من :

أم ← استفهام إنكاري.

للإنسان← التعريف للجنس، واللام على أن الهوى للإنسان.

ما تمنّى← الاسم الموصول "بمنزلة المعرّف بلام الجنس، ووقوعه في حيز الاستفهام الإنكاري الذي بمنزلة النفي يقتضي العموم"[٣]، وهذا يعود إلى ما يتمناه الإنسان؛ فالتقدير: الذي تمنى، وسبق في قوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ النجم: ٢٣ فيكون الهوى هو ما تمنى اتباعه الإنسان، وليس الشيء جاريا على إرادة الإنسان بل على إرادة الله، وتقدم (للإنسان) على (ما تمنى) يفيد الحصر؛ فالإرادة لله لا للإنسان.

فلله ← تفريع لما سبق من حصر الجار والمجرور، وفيها قصر لتقديم الخبر على المبتدأ.

---

[١] : مفاتيح الغيب١٤ /٢٦١

[٢] : المصدر السابق ٢٦١/٢٦٠

[٣] : التحرير والتنوير١١١/٢٨

الآخرة والأولى← تقديم الآخرة على الأولى؛ لأنها محط اهتمام الإنسان المسلم، والخطاب كان للنبي والمسلمين

وفي السورة نفسها ذُكر لفظ الإنسان في قوله: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ النجم: ٣٨ – ٤٠، يقف الرازي عند قوله (وازرة)، ويرد على من يقول وزر المسيء لا يحمل عنه[١]، ولكن الوقفة هنا عند قوله: وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ، فاستخدام (أن) المخففة تكرر في الآية السابقة في قوله(ألا)، وجاءت ثقيلة في الآية اللاحقة؛ وذلك لأنّ التركيب يبين أحوال المكلف، وتلاها العاقبة على ما قام به ونتيجة للحال السابق له، (أن لا تزر وازرة وزر أخرى+أن ليس للإنسان إلا ما سعى← (يترتب عليهما)← أنّ سعيه سوف يراه الله).

(الإنسان) تعريفه تعريف جنس، وجاء في سياق نفي مثل الآية السابقة فأفاد العموم، والسعي: " القصد، وأصل السعي التصرف في كل عمل، وهو الكسب، ويكون في الصلاح ويكون في الفساد"[٢]، فلا تجد لفظا يحل مكان السعي ويصلح أكثر منها، وقد تجد للوهلة الأولى معنى مختلفا بين الآية وقول النبي –صلى الله عليه وسلم– : " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[٣]، إلا

---

[١] : انظر: مفاتيح الغيب١٤/٢٦٦

[٢] : لسان العرب ١٤/٣٨٥

[٣] : صحيح مسلم كتاب الوصية

أنهما متوافقان في معنى السعي؛ فمن سعي الإنسان في الدنيا تربيته لولده فيكون داعيا له بعد موته، والصدقة والعلم كذلك، فهذه الثلاثة من سعي الإنسان.

الانزياح في التركيب اللغوي في الآية كان في الاستثناء؛ فالجملة النواة للتركيب : يسعى الإنسان، ولكن الجملة بسيطة والموضع عظيم فانتقل من الاستعمال العادي للجملة إلى استخدام أسلوب الاستثناء لتصير الجملة ليس للإنسان إلا السعي، ولأن الموضع فيه بيان أصل وتشريع قانون في الحياة ترتب تحديد عمل الإنسان نفسه بقوله: ما سعى، فصارت الجملة: ليس للإنسان إلا ما سعى، ولتأكيد ذلك وجعله حجة أضاف (أن) فصارت: وأن ليس للإنسان إلا ما سعى.

وأسند لفظ الإنسان إلى لفظ الشيطان في موضع ثان وهو قوله:

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ الحشر: ١٦ – ١٧، سبب نزول الآية : " قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن الإنسان الذي قال له الشيطان اكفر ، راهب تركت عنده امرأة أصابها لمم ليدعو لها، فزين له الشيطان فوطئها فحملت، ثم قتلها خوفا أن يفتضح، فدل الشيطان قومها على موضعها، فجاءوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه، فجاء الشيطان فوعده أنه إن سجد له أنجاه منهم، فسجد له فتبرأ منه فأسلمه"[١].

[١] : الجامع لأحكام القرآن ٣٥/١٨

من الأساليب المستخدمة في القرآن ضرب الأمثال، ولها أهمية في الإقناع لما يترتب على المتلقي من تفكر وتدبر، وتجد فيها أهدافا سلوكية تربوية في صرف الناس عن الجدل بالباطل والتحذير من اتباع الباطل.

المثل في اللغة : " الشبه أو الصفة، وهو كل ما جُعل مثالا أو مقدارا لغيره يحذى عليه"[١]، وتجد في اللغة العربية كتبا ألفت في الأمثال السائرة، إلا أننا لا نضع الآيات القرآنية ضمنها؛ فالمثل السائر شائع ومتداول على الألسن، والمثل القرآني لم يكن شائعا ولم يعرفه أحد إلا بعد أن نزل وأوحي إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–، وسماه البلاغيون (التمثيل) على أنه نوع من الاستعارة والكناية والتشبيه، وسماه القزويني في كتابه (تلخيص المفتاح) المجاز المركب[٢]، وأورد معناه قائلا: "اللفظ المركب المستعمل فيما شُبّه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه"[٣]، ويرى الألوسي تفسير كلمة (مثل) في القرآن: "المثل مأخوذ من المثول وهو الانتصاب"[٤]، فيمتثل المتلقي لما جاء من عبرة في المثل.

والغاية من ضرب المثل في القرآن هي التفكر، فيقول تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الحشر: ٢١، ضرب الله في في الآية مثلا الشيطان، وذكر الشوكاني أن الآية نزلت في يهود بني

---

[١] : لسان العرب ١١/٦١٠-٦١١
[٢] : انظر: تلخيص المفتاح ٣٢٢
[٣] : المصدر السابق نفسه
[٤] : روح المعاني ١/١٦٣

النضير في قصة الجلاء[1]، وهذا يدل على أنّ المنافقين وعدوا اليهود كوعد الشيطان، والقول: اكفر، قد يحمل وجهين؛ إما أن يكون المخاطب الإنسان عامة، أو تخصيص شخص معين، والأغلب أن المخاطب هو الإنسان الكافر لأن التعريف في كلمة (الإنسان) تعريف جنس، كما أن التعريف في الشيطان تعريف جنس.

والكلام على لسان الشيطان يحتمل أن يكون يوم القيامة عند الجزاء، فيتبرأ الشيطان من الكافر، وهذا يُستنتج من قوله : فلما، إذ إنها تربط بين الشرط وجوابه، والمعنى يوحي أن الكفر له مراحل سابقة وتالية، فلما طلب الشيطان من الإنسان الكفر كفر، واستمر على الكفر في حياته، وجاء يوم الحساب وندم واعتذر لكفره فتبرأ منه الشيطان، وهذا يسمى إيجاز حذف، والأداة (لمّا) " تختص بالماضي فتقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما نحو: (لما جاءني أكرمته)، ويقال فيها حرف وجود لوجود وبعضهم يقول حرف وجوب لوجوب، وزعم ابن السراج وتبعه الفارسي وتبعهما ابن جني وتبعهم جماعة أنها ظرف بمعنى حين وقال ابن مالك: بمعنى إذ، وهو حسن لأنها مختصة بالماضي وبالإضافة إلى الجملة "[2]، والأغلب هنا أنها بمعنى حين.

---

[1] : فتح القدير ١٤٧٩

[2] :الأنصاري، عبدالله بن هشام(ت٧١١هـ):مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق :محمد محي الدين ط١، ١٤١١هـ ١المكتبة العصرية–بيروت/٣٦٩-٣٧٠

أما إن كانت تحمل معنى الشرط فإن أركانها تكون :

فلمّا   كفر   قال إنّي بريء

(أداة الشرط + فعل الشرط + جواب الشرط)

↓   ↓

(الإنسان)   (الشيطان)

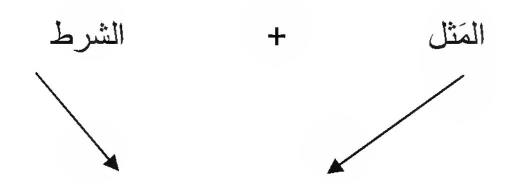
أمّا اعتراف الشيطان بأنه يخاف الله فما كان إلا " رياء، وليست على ذلك عقيدته، ولا يعرف الله حق معرفته، ولا يحجزه خوفه عن سوء يوقع به"[1]، وكانت العاقبة للشيطان والإنسان النار.

[1] : المحرر الوجيز ٢٩٠/٥

التركيب في الآية يتكون من :

كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ + فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ

المثل + الشرط



فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ

العاقبة

التأكيد (أنهما) في العاقبة يفيد تحقيق وقوع الجزاء لكليهما في العذب، وكذلك قوله: (خالدين) لأنّ الأمر عظيم وفيه بيان ما يترتب على اتباع الشيطان والكفر بالله.

الخطاب بكلمة (الناس):

وفي بحثٍ للدكتورة إيمان الكيلاني[1] إشارات إلى أنّ كلمة (الناس) في القرآن قد تحمل معنى الإنس والجنّ وليس جمع للإنس وحدهم، فتقول: "في قوله تعالى: (مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ) الناس: ٦ قسمان مندرجان تحت قوله تعالى: ﴿ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ ﴾ الناس: ٥، كأن القدر المشترك بين الجن والإنس، يسمى إنسانًا والإنسان أيضًا يسمى إنسانًا، فيكون لفظ الإنسان واقعًا على الجنس والنوع بالاشتراك، والدليل على أن لفظ الإنسان يندرج فيه الجن والإنس ما روي أنه جاء نفر من الجنّ فقيل لهم: من أنتم؟ فقالوا: أناس من الجنّ[2]، وقد ساهم رجالا في قوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ الجن: ٦ ، واتضح سابقًا في تعريف كلمة الإنس أن جمعها أناس أو ناس، ووردت كلمة (الناس) في القرآن في مئتين وأربعين موضعًا، وكان الخطاب لهم من الله في قوله : (أيّها الناس) في واحد عشرين موضعًا (٢١)، وكان أوّل هذه المواضع في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ البقرة: ٢١، فبدأ الخطاب موجهًا إليهم بالالتزام بالقانون الكوني لخلق الله عباده وهو سبب الوجود ألا وهو العبادة.

---

[1] : انظر: المعوذتان: دراسة أسلوبية، إيمان الكيلاني، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، م٨ عدد ٣ ، ص٢١٧، ٢٠١٢ م

[2] : جاء الحديث في كتاب: ، البغوي، ابن مسعود: معالم التنزيل في تفسير البغوي ، ط١، ١٩٧٨م، دار إحياء التراث–بيروت

وتنوع ذكرهم بين التحذير لهم وبيان قوانين معيشتهم والعذاب وغير ذلك، واختصت كلمة الناس أحيانا –حسب أسباب النزول– أقوامًا معيّنة، وهذا اتضح من خلال الاستقراء لبعض التفاسير.

أمّا المواضع والسياقات التي ذُكرت فيها كلمة الناس فقد جمعت في أكثر من معجم لموضوعات القرآن، وفي هذه الدراسة حُصرت الموضوعات التي ذكر لفظ (الناس) فيها بسبعةٍ وعشرين موضوعًا، وتظهر في ملحق (كلمة الناس).

وانتهت الدراسة إلى أنّ الناس في القرآن لهم أوصاف مختلفة، وقد تتفق مع أوصاف الجنّ، إلا أن لكل منهم خصائص قوميّة مختلفة منها الاجتماع بين الجنّ غالبًا والتفرّد بين الإنس غالبًا، والإيمان بالجن من الإيمان بوجود الإله، لذكره في القرآن، وللجن خصائص كما للناس خصائص، ومهما استعاذ الناس بالجن فلن يفيدوهم بشيء بل ستكون النتيجة (فزادوهم رهقًا)، فهم لا ينفعون بشيء للإنس، ولهم خصائص مختلفة فيما بينهم كما للإنس ذلك.

والترجيح هنا على أنّ لفظ (الناس) كان يحمل معنى الإنس والجن في المواضع التي كان الخطاب للناس في العبادة، وفي بيان المنافقين منهم والكافرين والمشركين، وأن الرسالة للناس كافة من إنس وجن، وأن منهم لا يشكر الله على نعمه ومنهم من لا يخشى الله ويجادل بغير علم.

الجدول رقم (٢): الناس: (الإنس والجن)

الموضوع	الآية
أكثر الناس لا يشكرون	١. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٤٣ ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ يونس: ٦٠ ٢. ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يوسف: ٣٨ ٣. ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ النمل: ٧٣ ٤. ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ غافر: ٦١

أكثر الناس لا يعلمون	١. ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٧ ٢. ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ يوسف: ٢١ ٣. ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يوسف: ٤٠ ٤. ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ النحل: ٣٨ ٥. ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

﴿...﴾ الروم: ٦ ٦. ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الروم: ٣٠ ٧. ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ سبأ: ٢٨ ٨. ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ غافر: ٥٧ ٩. ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ الجاثية: ٢٦	
١. ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ هود: ١٧ ٢. ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾	أكثرهم لا يؤمنون

	يوسف: ١٠٣ ٣. ﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١ ﴾ الرعد: ١ ٤. ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٥٠ ﴾ الفرقان: ٥٠
أكثرهم كافرون	١. ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٨٩ ﴾ الإسراء: ٨٩ ٢. ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٥٠ ﴾ الفرقان: ٥٠
اختلاف الناس بين التوحيد والشرك	١. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥ ﴾ البقرة: ١٦٥
اختلاف الناس في أجناسهم	١. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات:

الأمة الوسط بين الناس	١٣ ١. ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ البقرة: ١٤٣ ٢. ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ آل عمران: ١١٠
رسالة الإسلام إلى الناس أجمعين	١. ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ آل عمران: ٣ – ٤ ٢. ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا

تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ يوسف: ١٠٣ - ١٠٤	
١. ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ يونس: ١٠٤ ٢. ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يوسف: ٤٠ ٣. ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الروم: ٣٠	الناس كلّهم مطالبون بالإسلام
١. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ البقرة: ٨ ٢. ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ البقرة: ١٣	الناس بين الإيمان والنفاق

	٣. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ العنكبوت: ١٠ - ١١
الناس بين الدنيا والآخرة	١. ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٠ ـ ٢٠٢ ٢. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٧
الناس بين المبادئ والمنافع	١. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ الحج: ١١

	٢. ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الروم: ٣٣
	٣. ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الروم:
خاتم الأنبياء للناس كافة	١. ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ النساء: ٧٩
	٢. ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ النساء: ١٠٥
	٣. ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ سبأ: ٢٨
فساد وصلاح الناس في المجتمع	١. ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ البقرة: ٢٥١
	٢. ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا

	ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ الحج: ٤٠
عتاب الرسول لخشيته الناس	١. ﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٧
فساد الأرض بما تكسب أيدي الناس	١. ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الروم: ٤١
كان الناس أمّة فاختلفوا	١. ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ البقرة: ٢١٣

	٢. ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ يونس: ١٩
	٣. ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ هود: ١١٨ ــ ١١٩
لا يخشى الناس من يخشى الله	١. ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ آل عمران
الله لا يؤاخذ الناس	١. ﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾ يونس: ١١
	٢. ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ النحل
	٣. ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ

	ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ﴿٤٥﴾ ﴾ فاطر: ٤٥
مداولة الأيام بين الناس	١. ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٞ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٞ مِّثْلُهُۥۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٠
الفتنة تُظهر معادن الناس	١. ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾العنكبوت
جدال الناس وكلامهم بغير علم	١. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ ﴾ الحج: ٣ ٢. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ﴾ الحج: ٨ ٣. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٦﴾ ﴾ لقمان: ٦

	٤. ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ لقمان: ٢٠
نفاق الناس للناس	١. ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٧ ــ ١٨٨
	٢. ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾ النساء: ٣٧
	٣. ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ النساء: ٣٨
	٤. ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ

	يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ النساء: ١٠٨ ٥. ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنفال: ٤٧ ٦. ﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ الأنفال: ٤٨
الاستعاذة من شرّ الناس	١. ﴿ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ الناس: ٦
وسوسة الشيطان للناس	١. ﴿ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ ﴾ الناس: ٥
خطاب الناس بـ (يا أيّها الناس)	١. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ البقرة: ٢١ ٢. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ

خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ البقرة: ١٦٨ ٣. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ النساء: ١ ٤. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾ ﴾ النساء: ١٧٠ ٥. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ ﴾ النساء: ١٧٤ ٦. ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٨ ٧. ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ	

فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ يونس: ٢٣ ٨. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ يونس: ٥٧ ٩. ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ يونس: ١٠٤ ١٠. ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يونس: ١٠٨ ١١. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ الحج: ١ ١٢. ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ الحج: ٤٩ ١٣. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾	

الحج: ٧٣ ١٤﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ النمل: ١٦ ١٥. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ لقمان: ٣٣ ١٦.﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ فاطر: ٣ ١٧﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾ فاطر: ٥ ١٨. ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ فاطر	

الخلاصة:

أسلمت الدراسة إلى أنّ الآيات في خطاب الإنس والجن كانت في سياقات مختلفة، ففي سياق التحدي تقّدّم الإنس على الجنّ، وفي سياق الخلق تفرّد كل منهما بالذكر، وتحمل الألفاظ دلالات تجد أن لا بديل لها دلاليًا، فناسبت اللفظة سياقها، وجاءت آيات بيان خَلق وخُلق الإنس أكثر من آيات بيان خلق الجنّ، وفيها توسع أكبر.

وانتهت الدراسة بالنتائج الآتية:

١- تقدّم الإنس على الجنّ في سياقين هما: أ- التحدّي بالقرآن، ب- الكذب على الله والكفر به، وفي هذه الآيات استُخدمت الأفعال التي تدل على الفصاحة والتكلّم، مثل: تقول، يوحي.

٢- تقدّم الجنّ على الإنس في سياق التسخير والعبادة، وكان سبب التقديم أحيانًا لأقدمية الوجود، وفي هذه الآيات استُخدمت الأفعال التي تدل على السرعة والخفة، مثل قوله: انفذوا، وادخلوا، يُوزعون.

٣- ذُكر الجنّ منفردًا دون الإنس في سياق الخَلق وطبيعة المادة التي خُلقوا منها، وتسخير الجنّ لسليمان –عليه السلام-، وسياق الشرك بالله بعبادة الجنّ من دون الله.

٤- ذُكر الإنس منفردًا بلفظ (الإنسان) مفردًا، وذلك في سياقات مختلفة؛ منها: الخلق وطبيعة المادة التي خُلق منها الإنسان، وفي بيان صفات الإنسان وأحواله.

٥- وردت كلمة (الناس) في القرآن بسياقات مختلفة، وكانت تدلّ الكلمة في سياقات معيّنة على الإنس والجنّ مجتمعين، وهذا لما تحمله السياقات من مواضيع يشترك بها الإنس والجنّ من مثل: العبادة، والرسالة، والغختلاف في التوحيد والشرك.

٦- ويُسلّم بأن المنهج الإحصائي منهجٌ تقنيٌ موضوعي فكان مؤشرًا أسلوبيا إلى النتائج الآتية:

أ-نسبة آيات الإنس والجن مع تقديم الإنس هي: ٤٠% (الإنس والجن ٦/١٥)

ب- نسبة آيات الجن للإنس مجتمعين مع تقديم الجن هي: ٦٠%، وهذه نسبة أكبرمن نسبة الإنس(١٥/٩)

ج- نسبة آيات الجن منفردا بالنسبة للإنسان هي: ١٧%، ونسبة الإنسان منفردا ٨٣% بالنسبة للجن (٨٣/١٤) (٨٣/٦٩)

د- نسبة كلمة الناس التي جاءت بمعنى الإنس والجنّ هي: ٤٠% بمقابل الناس التي بمعنى الإنس ٦٠%.

هـ- من هذه النسب تخلص إلى أنّ نسبة ذكر الإنس بالنسبة لذكر الجن في القرآن هي:

الإنس والجن =٣٤٣ عدد آيات الإنس فيها ٢١٨، عدد آيات الجن فيها ١٢٥؛ إذا نسبة الإنس للجن في القرآن هي ٦٣.٥%، ونسبة الجن للإنس في القرآن ٣٦.٥%، فيكون معظم الخطاب في القرآن للإنس ففيهم قدرة على الفهم والتكلم والفصاحة ممالا يملكه الجن، وفيهم عصيان أكثر من الجن وشركهم أعظم وعداوتهم أشدّ فنتج عن ذلك التوسع في خطابهم، وتنويع السياقات في بيان معاملاتهم وشؤونهم، وهذا قد يكون لكثرة ما يجادلون، ثمّ إن الله بيّن أن هناك من الجن المؤمنون ومنهم الكافرون، وإيمانهم بدأ عندما استمع نفر منهم للقرآن وأخبروا باقي القوم بما سمعوا، فكانوا منذرين، وكأنّ هدايتهم ومعرفتهم لطريق الإيمان أسرع من الإنس.

وفي تحليل الآيات في خطاب الإنسان كان هناك تصور كامل عن طبع الإنسان في بيان صفاته، ومنها "كفورا"،و " شكورا"، و"عجولا"، و"ظلوما"، وغيرها، إلا أن الحال مع الجن لم يكن كذلك؛ فقد كانت الآيات التي تبيّن صفات الناس في مجال العبادة، أو النفاق، أو العلم، أو الشكر، أوالإيمان، أو اختلاف الأجناس، أو بيان رسالة الإسلام، تشمل الإنس والجنّ دون التصريح بلفظ الجنّ بقوله : "الناس".

وفي خطاب الإنس منفردًا كان التعقيب في الآيات على نمطين؛ إمّا أن يقول: وكان الإنسان(صفته)، أو أن يقول: إنّ الإنسان(صفته)، وغيرها من الأنماط أو الأساليب المنفردة

التي لم تتكرر، والفرق بين الاستخدامين هو أن قوله: كان، ترتبط بحادثة أو موقف معيّن فعقّب المخاطِب عليها بـ"كان"، والآية التي تحمل في دلالتها عموم الإنسان كان التأكيد على صفاته بـ"إنّ".

وبحثت الدراسة في وجوه القراءات فبينت الفروق الدلالية بينها، ومن ذلك قوله: "يوزَعون"، والتفسير الذي يبحث في المنحى البلاغي الدلالي، وكان تفسير (مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي، يعطي لفتات للدارسين للتأمل في مباحث لغوية مختلفة، ويعطي منحىً جماليًا غيّبه كثير من المفسرين في تفاسيرهم.

ويلي ذلك ما خرجت به الدراسة من بيان أساليب الخطاب اللغوية للإنس والجن، إنّ المعاملة مع كتاب الله من أسمى المعاملات والدراسات، وتوصي الباحثة في التوسع في البحث عن السمات الأسلوبية في استخدام الروابط اللفظية التي تؤدي إلى ترابط النص وتماسكه، كما وتحثّ الدارسين على تقسيم موضوعات القرآن وآياته إلى مباحث تسهل على طلبة العلم دراسته والبحث في أوجه الدلالة فيه، ودراسة علاقة الجمل وتوالد بعضها من بعض، وإن كان كل ذلك يصبّ في إعجاز القرآن اللغوي والبياني فإنّ بذلك تتأكد مشيئة الله بحفظ القرآن على مرّ العصور، وليس حفظه من التحريف فقط وإنّما حفظه في العقول والصدور بفهم صحيح.

قائمة المصادر والمراجع:

- الألوسي، شهاب الدين محمد (ت١٢٧٠هـ): **روح المعاني في تفسير القرآن** العظيم والسبع المثاني، ط٢، ١٩٧٨م دار الفكر –بيروت

- الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف (٦٥٤-٧٤٥هـ): **تفسير البحر المحيط**، ط١، د.ت دار إحياء التراث-بيروت

- الأنصاري، عبدالله بن هشام (ت٧١١هـ):**مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، تحقيق: محمد محي الدين ط١، ١٤١١هـ المكتبة العصرية-بيروت

- البخاري، صديق حسن قنوجي (١٢٤٨-١٣٠٧هـ): **فتح البيان في مقاصد القرآن**، تحقيق: عبدالله الأنصاري، ط١ ، ١٩٩٢م ، المكتبة العصرية-القاهرة

- بخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري بشرح فتح الباري**، شرح:أحمد العسقلاني، ط١ ١٣٨٠هـ ، المطبعة السلفية- القاهرة

- البستاني، محمود: **التفسير البنائي في القرآن الكريم**، ط١، ٢٠٠٢مجمع البحوث الإسلامية -القاهرة

- البغوي، حسين مسعود: **تفسير البغوي**، ط١، د.ت، دار طيبة للنشر-الرياض

- البقاعي:إبراهيم بن عمر٨٨٥هـ : **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط١ ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت

- الترمذي، محمد بن عيسى: **سنن الترمذي**، ط١، ١٤١٦هـ، دار الكتب العلمية-بيروت

- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان الموصلي: **الخصائص**، ط٢، ١٩٥٢م ،المكتبة العلميّة

- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جني٣٩٢هـ: **المنصف في شرح التصنيف للمازني**، ط١، ١٩٥٤، دار إحياء التراث القديم _ بيروت

- الجوزيّة، ابن القيّم محمد بن أبي بكر٧٥١هـ: **كتاب الروح**، ط١، ١٩٧٥م، دار الكتب العلمية – بيروت

- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر(ت١١٣٣هـ): **مفاتيح الغيب التفسير الكبير**، ط٢، ٢٠٠٤م دار الكتب العلمية –بيروت

- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله: **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق :محمد ابراهيم، د.ط ، د.ت ، مكتبة التراث-القاهرة

- سابق، سيد: **العقائد الإسلامية**، ط١، د.ت ، دار الكتاب العربي-بيروت

– السامرائي، فاضل: **معاني النحو**، ط٢ ، ٢٠٠٣ مطبعة العاتك –بغداد

- سيبويه، عمرو بن عثمان: **الكتاب**، ط٣، ١٩٨٨م مكتبة الخانجي –القاهرة

- الشعراوي، متولّي(ت١٩٩٨م): **خواطري حول القرآن الكريم** ط١،١٩٩١م، أخبار اليوم للنشر -القاهرة

- الشعراوي، متولي(ت١٩٩٨م): **تفسير جزء عمّ**، ط٣،١٤٢٩هـ دار الراية – القاهرة

- الشوكاني، محمد بن علي: **فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية**، ط٢ ، د.ت دار المعرفة –بيروت

- الطوسي، نصير الدين(٤٦٠هـ): **التبيان في تفسير القرآن**، ط١ ، ١٤٠٩هـ دار إحياء التراث مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي- بيروت

- الطبري، محمد بن جرير: **تفسير الطبري**، ط٢، ٢٠٠٠م ، دار المعارف -القاهرة

- ابن عاشور محمد الطاهر: **التحرير والتنوير**، ط١، ١٩٩٩م دار سحنون-تونس

- عبد الرحمن، مروان محمد: **دراسة أسلوبية في سورة الكهف**، رسالة ماجستير، ٢٠٠٦، جامعة النجاح الوطنية- نابلس

- عبد العال، محمد قطب: مقالة(**الجمال التصويري بين اللفظ والمعنى**)، مجلة الداعي الشهرية،دار العلوم عدد١، ص(١-٢٠)، محرّم١٤٣٢/ديسمبر٢٠١٠

- ابن العربي، محمد بن عبدالله الأندلسي: **أحكام القرآن**، ط١، د. ت، دار الكتب العلميّة-بيروت

- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ط١، ١٩٨٦، دار الريان للتراث -القاهرة

- عمايرة، خليل: **في نحو اللغة وتراكيبها**، ط١، ١٩٨٤م دار عالم المعرفة –جدّة

- الغدير،كفاية: **الجملة الموسّعة في القرآن**، رسالة ماجستير، ١٤٢٦هـ، جامعة الملك السعود– الرياض

- فيروز أبادي، مجد الدين(٨١٧هـ): **القاموس المحيط**، ط٨ ، ٢٠٠٥م مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة- الإسكندرية

- قاسم، عدنان : **الاتجاه الأسلوبي البنيوي في الشعر العربي**، ط١، ١٩٩٢، مؤسسة علوم القرآن-عجمان

- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن**، ط٢، د.ت، دار الفكر-بيروت

- القيسي، مكي بن أبي طالب(٤٣٧هـ): **الرعاية لتجويد القراءات**: تحقيق:أحمد فرحات،ط ٣ ١٩٩٦م دار عمّار –عمان

- ابن كثير،اسماعيل(٧٠٠-٧٧٤هـ): **تفسير ابن كثير**، ط٣ ، ٢٠٠٢م، دار طيبة-الرياض

- الكرماني، برهان الدين أبو القاسم محمود بن حمزة ت٥٠٥هـ: **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، تحقيق: السيد الجميلي، ط١ د.ت مركز الكتاب للنشر

- الكيلاني، إيمان محمد: **ظواهر أسلوبية في سورة الرحمن**، منشورات أبحاث اليرموك، م٢١، العدد١ ، ص (١٢٣-١٤٠)، ٢٠٠٣م

- الكيلاني، إيمان: **المعوذتان دراسة أسلوبية** ، المجلة الأدبية في اللغة العربية وآدابها، م٨، العدد٣، ص(١٧٩-٢٤٢)،٢٠١٢م

-الكيلاني، إيمان: بحث **(وقضى ربك)** دراسة أسلوبية، مجلة دراسات –الجامعة الأردنية مجلد: ٣٦ ، ص(٧١٥-٧٤٥)، ٢٠٠٩م

-- **الكيمياء للمرحلة الثانوية**، وزارة التربية والتعليم الأردنية ط١،٢٠١٢، الأردن

- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط٢ د.ت المكتبة الإسلامية- القاهرة

- ابن منظور،جمال الدين: **لسان العرب**، ط١ د.ت ، دار صادر، بيروت

-النجار، زغلول: **قضايا وآراء**، العدد ١٢٦ ص(٣٣-٦٠)، فبراير ٢٠٠٢ موقع موسوعة الإعجاز العلمي http://quran-m.com

- النعسان، كوثر: **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها**، دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير،٢٠١٠م، الجامعة الإسلامية-غزة

المواقع الإلكترونية:

١.موسوعة الإعجاز العلمي **http://quran-m.com**

٢.موقع إعجاز القرآن **http://www.igaz.com**

٣.موقع تفسير القرآن **http://www.tafsir.net**

٤. الموقع العلمي الأمريكي: **http://psycnet.apa.org**

٥. **http://www.ahl-alquran.com**

ملحق (١): آيات الإنس والجنّ في القرآن الكريم:

الإنس والجنّ	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ الأنعام: ١١٢ ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨ ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ الجن: ٥ ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ الرحمن: ٣٩ ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ ﴾ الرحمن: ٥٦ ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ ﴾ الرحمن: ٧٤
	﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ الأنعام: ١٣٠ ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا

الجنّ والإنس	دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأعراف: ٣٨ ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ الأعراف: ١٧٩ ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ النمل: ١٧ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ فصلت: ٢٩ ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ الأحقاف: ١٨
الجنّ والإنس	﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ الرحمن: ٣٣
	﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٠

الجنّ	﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٨ ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الحجر: ٢٧ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ الكهف: ٥٠ ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ النمل: ٣٩ ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ سبأ: ١٢ ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ

الجنّ	(١٤) ﴾ سبأ: ١٤ ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ (٤١) ﴾ سبأ: ٤١ ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) ﴾ الأحقاف: ٢٩ ﴿ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ (١٥) ﴾ الرحمن: ١٥ ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا (١) ﴾ الجن: ١ ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا (٦) ﴾ الجن: ٦ ﴿ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ (١٥٨) ﴾ الصافات: ١٥٨
الإنسان	﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا (٢٨) ﴾ النساء: ٢٨ ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ (٩) ﴾ هود: ٩ ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ (٣٤) ﴾ إبراهيم: ٣٤

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) ﴾ الحجر : ٢٦ ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤) ﴾ النحل: ٤ ﴿ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا (١١) ﴾ الإسراء: ١١ ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا (٦٧) ﴾ الإسراء: ٦٧ ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (٨٣) ﴾ الإسراء: ٨٣ ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴾ الإسراء: ١٠٠ ﴿ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) ﴾ مريم: ٦٦ ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧) ﴾ مريم: ٦٧ ﴿ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) ﴾ الأنبياء: ٣٧ ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ	الإنسان

الإنسان	لَكَفُورٌ ﴾ الحج: ٦٦ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ المؤمنون: ١٢ ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ العنكبوت: ٨ ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ لقمان: ١٤ ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ السجدة: ٧ ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٢ ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ يس: ٧٧ ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ الزمر: ٨ ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ الزمر:

٤٩ ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ فصلت: ٤٩ ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ ﴾ فصلت: ٥١ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴾ الشورى: ٤٨ ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ الزخرف: ١٥ ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ الأحقاف: ١٥ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ ق: ١٦	

﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾ الرحمن: ٣ – ٤ ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ۝١٤ ﴾ الرحمن: ١٤ ﴿ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ ﴾ المعارج: ١٩ ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ ﴾ القيامة: ٣ ﴿ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ ﴾ القيامة: ٥ ﴿ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠ ﴾ القيامة: ١٠ ﴿ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ ﴾ القيامة: ١٣ ﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ۝١٤ ﴾ القيامة: ١٤ ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۝٣٦ ﴾ القيامة: ٣٦ ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ ﴾ الإنسان: ١ ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ ﴾ الإنسان: ٢ ﴿ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝٣٥ ﴾ النازعات: ٣٥ ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧ ﴾ عبس: ١٧	الإنسان

الإنسان	﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ ﴾ عبس: ٢٤ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾ الانشقاق: ٦ ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾ الطارق: ٥ ﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ الفجر: ١٥ – ١٦ ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ الفجر: ٢٣ ﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ ﴾ العلق: ٥ ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾ العلق: ٦ ﴿ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ ﴾ الزلزلة: ٣ ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴿٦﴾ ﴾ العاديات: ٦ ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾ العصر: ٢ – ٣ ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ الإسراء: ١٣

abstract

"Speech of Mankind and the Jinn in the Qur'an: a Stylistic Study"

By:

Asma'a Hasan Ali Al-ruqaibat

Supervisor:

Dr. Iman " Mohammed Amin" al-Kilani

Associate professor

This study is a stylistic studies of applied fields, taken from the monitored path literary stylistics release features extra deviation levels stylistic in human and Jinn, verses of their common characteristics and because they are scientists and continue as indicated in the Qur'anic discourse, and the human and jinn verses with common semantic unit to collect the commonalities between the worlds.

The study relies on research on vertical and horizontal relations network in the verses of their expressive value semantics. Divided the study into three chapters, the first chapter collection of verses mankind and the jinn, and involves two issues; First topic: provide mankind on gin, and the second part: to provide the jinn mankind, and the second chapter in which verses Gin without mankind, The third chapter is subject to the verses that uniqueness rights , and the word people between mankind and the jinn.

The study is based on research in a sign used word in a particular context without the other, and the use of formula banking and replicated in certain placements required appropriate, and the significance of votes word on the meaning, and the consequent syntax of reference to the meaning and highlight special value of use is not the meaning But on their own, and this requires a dive into the depths of the text and live the words and starting to sense the most significan, Valoslobah as defined "Aakpson" as the search for what is characterized by technical talk for the rest of the first discourse levels for other varieties Arts humanity II.

The dish commentators aside no small field of interpretation and research rhetorical; but they overlooked the application and analysis, it became interpretations books and sources in libraries endoscopic rather than practical, though they world of specialists but data their time that are beyond their control, they were not as data of our time in the development and research to be able to dive more in the depths of the verses revealed connotations and open horizons in the study linguistic.